صاحبة الشعر الأسود

مجدي أيمن

رواية

اسم الكتاب : صاحبة الشعر الأسود
اسم الكاتب : مجري أيمن
رقم الإيداع : 2017 / 16821
الترقيم الدولي : 9789778350043
الطبعة الأولى : 2017
مراجعة لغوية ، وإخراج واخلي : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
دار زحمة كتاب للنشر
za7ma-kotab@hotmail.com
01205100596

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونا بسجل تجاري رقم /84486

كلمة المؤلف

إنها أول كتاباتي وليست الأخيرة، بداية جديدة في حياتي أحب أن أفعل كل شيء جديد أحب أن أخوض التجربة لأول مرة وإذا فشلت فيها فإنني أعلم أنها بداية نجاحي لأنني لا أعرف معنى الفشل في حياتي.

كنت أكتب كل شيء وأي شيء بدون أن يقرأه أحد، وفي هذه المرة تجرأت بعد تشجيع من أحد أصدقائي أن أكتب بثقة وعرضها لناس حتى يستمتعوا بالقراءة كما أستمتع بالكتابة، وإن لم تعجبوا بها في المرة الأولى ستعجبون بواحدة أخرى من كتاباتي، وسأظل أكتب حتى أبلغ إعجاب الكثيرين .. إنها البداية وليست النهاية.

✍ **.. مجدي أيمن**

إذا فشلت اليوم

سأنجح غدًا

وإذا نجحت اليوم سأتفوق غدًا

تقديم

تبدأ إبداعاتي بجرة قلم، فكرة تتحول إلى صورة تصور ما في وحي خيالي، من جمال الواقع الذي رسمته في عقلي.

عقلي يفكر وقلمي يدهن كلماتي على سطور من ورق من يقرأها يتنغم بصوت ما أكتب، ما في خيالي الذي أريد العيش فيه، لأن الخيال نحن من نتحكم به وما يحدث فيه من أحداث غير حقيقية، عكس الواقع؛ إننا مجبرون على العيش فيه دون أن نغير شيئًا.

دورنا أن نساير الأحداث وأن نتعامل معها كما هي، تبدأ حكايتي من الخيال غالبًا ما تمتزج بالواقع الذي رسمته في عقلي لأعبر عن ما أريد أن يكون عليه عالمي بمجرد كلام مكتوب على ورق، أصدقه من أكذوبة واقعية تحدث للكثير منا، ودائمًا ما نسير مع الأكاذيب ولا نبحث عن الحقيقة الموجودة بداخل أنفسنا، وتكون أعيننا مغمضة عليها وأحيانًا تكون مشاعرنا أكبر أكذوبة في حياتنا ويظلم بها الآخرين معنا.

لذلك اخترعت عالمي الخاص حتى أكون المسيطر على أحداثه، أكتب وأصف ما أريد حتى لا أقع تحت تأثير أكاذيب الآخرين.

لا يجرؤ أحد على دخوله دون إذن من قلمي، تركت كل شيء مضى خلف ظهري وذهبت لأدون حكايات خيالي الأكثر تشويقًا من الواقع.

❁❁❁

كل ليلة أذهب منفردًا إلى شاطئ البحر حتى أستمتع بهدوء تام وراحة في التفكير، عندما أنظر إلى البحر وجمال القمر الذي يعكس ضوءه على تلك الأمواج التي تتابعت وراء بعضها كأن كل واحدة تسابق الأخرى.

وفي أحد الأيام كنت جالسًا على أحد شواطئ البحر بالأسكندرية، بجانبي فنجان من القهوة التي أتلذذ بمذاقها الرائع، بينما أشاهد تلاطم أمواج البحر ببعضها.

ذهبت في عالم آخر بصحبة صوت أم كلثوم بأغنية ودارت الأيام وجاءت الأفكار في ذهني فكرة تلو الأخرى لكي أبدأ كتابة إحدى رواياتي التي تدور في ذهني، والتي تمنيت أن تكون أحداثها حياتي وأن تكون بعض أحداثها واقعية.

مع ضوء القمر الذي ينير صفاء السماء ومعه بعض من النجوم تستمتع بجمال بريقه، رأيت فتاة يشع جمالها آتية من بعيد نحوي، تتلاعب بشعرها نسمات الهواء اللطيف، ترتدي قميصًا أحمر وبنطلون أزرق غامق مع حذاء أحمر يتماشى مع القميص.

فاتنة، ملبسها يزينها، جلست بجانبي تنظر وتتأمل جمال البحر، وتحمل في يدها كتابًا، يبدو عليها أنها محبة للقراءة.

بدأت تقلب في صفحات الكتاب وتنظر وتتأمل البحر وروعته.

في نظراتها بين الكتاب والبحر تبدو شكواها إليه من همومها التي تراكمت في نفسها من تتابع الأيام عليها، إنها لا تشكو إلى أحد غيره، لأنه هو الوحيد الذي يفهمها، ترتاح معه بمجرد النظر له. لم تنتبه إلى وجودي بجوارها، لم أهتم بها وتركتها تفضفض ما بداخلها إلى البحر.

أخذت أنظر في أجندتي لكي أبدأ بسرد أحداث حكايتي التي تخيلتها حقيقة وعشت معها في كل كلمة أكتبها حتى صدقتها، وبينما أنا مستغرق داخل عالمي الذي هيأته للكتابة، رفعت عيني لأستلهم من البحر باقي الأحداث التي سأرويها، جائت عيني في أعينها عندما التفتت حولي يمينًا ويسارًا.

إنها تمتلك أعين تسحر ناظرها، لها بريق لامع، شديدة الجمال، مليئة بالدموع الجافة من أثر ما تحمله من مشاعر مكبوتة.

أدارت وجهها اتجاهي عندما انتبهت لي وأصبحت تنظر لي نظرة غريبة، تبدو كنظرة إعجاب أو شوق وفضول لمعرفة ما أكتب.

(وائل فريد) شاب في مقتبل العمر، يبلغ منه العشرين عامًا لديه كثير من الأصدقاء، ورغم ذلك يحب الجلوس منفردا ليستمتع بجمال البحر في الجلوس أمامه وحيدًا.

لديه حس فكاهي، لا يتوقف عن المزاح أو الضحك أبدًا، يمتلك أعين سوداء، شعره بني، جسمه متناسق مع بعضه، اللحية تزين وجهه، لا يحب أن يزعجه أحد في جلسته مع نفسه، لا يتوقف عقله عن التفكير والخيال والإبداع.

كل يوم بجديد، يمل أحيانًا من الروتين اليومي، دائمًا ما يكسر قواعده، قرر أن يعيش حياته كما يتخيلها هو، يسير عكس اتجاه الآخرين، يعاني من انعدام تقبل الآخرين لتفكيره وشخصيته المتقلبة، فريد من نوع لا يوجد مثله، يفعل كل شيء باختلاف يميزه عن الآخرين.

كلما توقفت عن الكتابة أراها تحدق النظر بي .. أعجبت بتلك النظرة التي جذبتني إليها.

هذه الأعين أراحتني وجعلتني أريد التحدث معها، وأحكي لها الكثير عن حياتي التي لا يعلم عنها أحد، جعلتني أغرم بها.

بمجرد نظرة انشغلت بها، أصبح عقلي يفكر بها وكأنه يعرفها من سنوات، يعلم عنها كل شيء. كلما نظرت لها يزيد عقلي بالتفكير

فيها، فجاء في ذهني أن أذهب وأتحدث معها، لأني رأيت في أعينها شيئًا غريبًا.

بريق أعينها مملوء بكثير من الحكايات المحبوسة داخلها، أو تريد الشكوى لي من شيء ما، بينما لا أستطيع الحديث معها فأنا غريب لا معرفة لها بي.

أنا لا أدري ماذا أفعل، هل أذهب وأتحدث معها، أم أبقى بمكاني وأتابع ما بدأت من كتابته؟!

قد تكون نظرات عابرة .. مجرد فضول لمعرفة ما أكتب فقط، جاءت لحظة من الهدوء والصمت الشديد لكل شيء حتى صوت أمواج البحر لا أسمعه، أسمع فقط دقات قلبها الذي يدق بشدة، دقاته تشبه دقات عقارب الساعة، مر وقت علينا وما زالت جالسة تقلب صفحات كتابها وشاردة عن ما فيه من كلمات، تركيزها في النظر إلي البحر، تخطف بعض النظر لي حتى لا ألاحظها.

لا تعلم أنني أرى تلك النظرات، وأنها لفتت انتباهي بأعينها فالعين ترتاح إلى ما تنظر حتى تستمر بالنظر إليه وتغرب في رؤيته.

- إزيك يا حبيبتي، اتأخرت عليكي.

أتت سارة من خلفها لتغمض أعينها بيدها، تداعبها كما تعتاد أن تفعل معها دائمًا.

- لا يا سارة، أنا قاعدة بقرأ زي ما أنت شايفة وبتفرج على جمال البحر.

- أيوه بقى، جمال البحر بردو ولا جمال المز اللي قاعد هناك ده.

صاحب كلام سارة ابتسامة تعكس فهمها لصديقتها، بمجرد النظر إليها تفهم ما تريده من كلامها. ابتسمت ابتسامة مبهجة وقالت لها بصوت منخفض حتى لا يسمع كلامها:

- وائل وطي صوتك لا يسمع، أنا ببص عليه من بدري بس هو مش واخد باله مني.

- لا يا بنتي، واخد باله بس عامل عبيط هههههههههههههه

- هتفضحينا يا حيوانة هههههههههههه

أصبح الضحك يملأ الشاطئ وارتفع أصواتهن.

- بس تعرفي يا سارة، ده شدني إني أعرف هو بيكتب إيه، كل شوية يبص على البحر ويبتسم ويكتب، شكله بيكتب حاجة حلوة.

- وأنتي عرفتي منين يا فالحة بقى!

استغراب شديد من سارة من كلام صديقتها المقربة:

- ده شكله مجنون أصلًا.

- مجنون إيه، أنتي نسيتي إني بقرأ روايات، وباين من تعبيرات وشه.

ضحكت سارة على كلام مريم:

- هههههههههههههه، لا يا ستي مش نسيت.

- ماشي يا سارة.

- ماشي يا عم المثقف.

- بس حلو الطقم اللي أنتي لابساه ده يا سارة.

سارة ترتدي جيبة جينز سوداء اللون وتيشيرت أبيض أعجبت به جدًا.

- ربنا يخليكي يا حبيبتي.

...

مضى وقت طويل وأنا جالس بين نظرات وكلمات أدونها.

ها هي الساعة الواحدة صباحًا، أغلقت أجندتي حتى أذهب إلى البيت الذي لا يبعد كثيرًا عن الشاطئ، ليبدأ يوم جديد في الصباح الباكر بين الجامعة وعملي الذي اعتدت عليه منذ الصغر. تركت مكاني، وما تزال الصديقتان جالستين.

- يا ترى بكرا هيكون زي كل يوم، كلية وشغل، ولا هيكون في حاجة جديدة؟!

بدأ حديثي المعتاد مع نفسي، غالبًا ما يبدأ بدندنة بعض الكلمات من تأليفي، لتصبح أغنية أو شعر، أحيانًا كلمات ليس لها معنى، حتى أذهب إلى البيت.

بعد سير لفترة أخيرًا وصلت البيت الذي أنظر من شرفته لأستمتع بجمال البحر وروعة الأسكندرية ليلًا. أعيش بمفردي هنا، منعزلًا عن باقي أقاربي، الذين لا يتذكرونني بعد هذه الفترة التي غبت عنهم فيها منذ دخولي الجامعة. هذا هو المكان الذي حلمت دومًا أن أعيش فيه منذ صغرى.

- شوفتي أهو الوالد ساب لنا المكان ومشي، تفتكري أننا ممكن نشوفه تاني يا سارة؟!

- هههههه .. أنتي وقعتي من أول نظرة ولا إيه يا بندقتي!

- مش عارفة بقى .. سيبك، أنا بقول أننا نمشي عشان الوقت اتأخر.

تعبير وجهها تغير مع رحيل الشخص الغامض بالنسبة لها، إنه أشبه بشخص قرأت عنه في رواية، انشغل عقلها بالتفكير فيه عند رحيله.

- ماشي يا قلبي يا لا بينا.

- هنعمل إيه بكرا يا بندقتي؟

- هنروح المستشفى أعمل شوية تحاليل وبعد كده نروح الكلية.

- قشدة، كلميني الصبح صحيني نروح سوا.

- ماشي يا سارة.

- بس إيه رأيك ...

- رأيي في إيه؟

- في الولد اللي عينك مش نزلت من عليه طول القعدة.

ابتسمت دليلًا على إعجابها بالشاب الذي شغل تفكيرها وقلبها دون أي تنبيه سابق، تلك الصدفة التي أتت بأمل إحيائها من جديد.

- أقول لك على حاجة .. أنا حاسة إنه مش زي أي حد ممكن تتخيليه.

- إزاي يا بندقتي؟

- مش عارفة كله على بعضه غريب، تحسي إنه عميق جدًا، حالة نادرة يعني.

- نادرة دي تبقى خالتك هههههههه.

- آه يا جزمة.

- أشوفك بكرا بقى .. سلام.

- مش تتأخري عليا يا سارة .. سلام.

ذهبت الفتاة بعد أن أوصلت صديقتها المقربة حتى باب منزلها، وما زالت منشغلة بذلك الشاب الذي قلب حالها رأسًا على عقب بمجرد نظرة، فالعين أحيانًا تورط صاحبها، غالبًا تكون النظرة ساحرة فتسحر من يراها، أو تكون جذابة تجذب ناظرها .. للعين لغة تعبر عن مشاعرنا.

صعدت مريم إلى منزلها لتبدأ يومها الطويل في غدٍ ستملؤه الأحداث المختلفة.

...

كنت طفلًا وحيدًا ليس لدي أصدقاء حتى جاءت صغيرتي ملك، لتملأ الحياة سعادةً، اسمها من اختياري، أحبها لدرجة العشق، إنها أقرب لي من نفسي. دائمًا أطلعها على أسراري وحكاياتي التي لا تنتهي.

أحب شقاوتها عندما أكون نائمًا وتدخل غرفتي وأنا نائم، تتسلل بكل هدوء وتقفز على ظهري لأستيقظ على شقاوتها وجمالها الطفولي. كانت أحن عليَّ من أبي وأنا ألعب معها وأتكلم أيضًا، رأيت بداخلها الحنان الذي افتقدته من والدي.

أبي شديد القسوة في معاملته معنا لا أذكر أنني أعجبته في يوم من الأيام، كثير السخرية مني ومن أفعالي، رغم سعيي لإرضائه بكل الطرق، وتمنيت أن نصبح أصدقاء، لكنه فشل في اكتسابي كصديق له. أصبحت منعزلًا عن كل شيء، قليل الحديث، كثير الكتابة كي أعبر بها عن مشاعري.

أردت في يوم أن أحدث أبي عن ما بداخلي اتجاهه، ولكنني لم أتمكن من الحديث معه، تكلم قلمي عن قسوته وطريقته معي.

"أبي، لقد سئمت تلك المعاملة، فأنت قاسٍ بطبعك. لا أرى فيك

الأب الحنون، أمانًا لأولاده، بل أجد فيك الظلم والشدة، إنني أعجز عن تحمل هذه المعاملة.

لقد كبرت وكبرت أحلامي وعواطفي، لا أجيد الكلام والتعبير عن ما أشعر به، لكنها الحقيقة المرة .. عذرًا، ومع ذلك أحبك لأنك أبي ...".

هذا ما قاله قلمي بدلًا مني لأنه أبرع مني في التحدث بجرأة أمام تلك المعاملة القاسية، أفتقد حضن أبي الآن.

عندما دخلت المنزل بعد رحلة من الخيال والإبداع في الكتابة، استلقيت على سريري، الذي يقع وسط الغرفة التي تملأ جدرانها صور لأطفال، بالإضافة إلى مكتبة صغيرة تقع فيها الكتب التي أستمتع بها، ودولاب بجانب السرير.

لم أشعر بنفسي من كثرة الإرهاق في الكتابة، استغرقت في النوم عند ملامسة جسدي للسرير، دق هاتفي مع صوت آذان الفجر، لم أدر أأنا أحلم أم أن هناك شخص يتصل بي في ذلك الوقت المتأخر من الليل.

ضغطت زر الإجابة بالخطأ لأسمع صوتًا أشبه بتغريدة الكروان، صوتها رقيق ناعم الإحساس، وبكل هدوء جاءتني الإجابة:

- إزيك .. طمنني عليك.

لم أتذكر سوى تلك الكلمات، كنت في حالة اللاوعي.

استيقظت على رنة صديقي محمد، يوقظني كل صباح للذهاب معًا إلى الجامعة.

- إيه يا بوب أنت لسه نايم؟

- آه، أنت عارف إنك بتصحيني كل يوم، لولاك كان زمان راحت عليا نومة.

- طب انجز حالًا، وأنا هلبس وأجيلك.

- ماشي يا صديقي.

أغلقت الهاتف، لا أستطيع أن أحرك جسدي من على السرير من قلة نومي.

- لازم أقوم عشان الولد اللي جاي ده مش عايز يجي يستناني كتير.

انتفضت وأزحت الغطاء عني في عجل.

- أنا حطيتك فين قبل ما أنام، أنت كل يوم هتدوخني عليك كده، أهو تحت السرير ...

شبشبي ارتديته ودخلت المطبخ لأقوم بإعداد مشروبي الصباحي النسكافيه، وضعت فيشة الكاتل في الكهرباء وتركت الماء يغلي حتى أنتهي من حمامي.

دخلت الغرفة لأجهز ملابسي، أتيت بملابس داخلية ومعها ملابس الخروج، التيشرت الأخضر والبنطلون الأسود.

- أدخل بقى آخد دش عشان أنزل ...

انتهيت من حمامي الساخن الذي ينعشني مع سماع أغنية فيروز (شايف البحر). بعد أن أنهيت كل شيء وارتداء ملابسي وتسريح شعري، قمت بتحضير النسكافيه حتى يأتي محمد ونذهب.

أثناء تناولي لمشروبي دق جرس الباب، لأرى محمد .. تعجبه الدائم مني ..

- والله أنت رايق ومشغل أغاني كمان ونسكافيه من غيري.

- ادخل أعملك واحد .. المياه سخنة.

- أنا لسه هعمل، احنا لازم ننزل مش كل يوم هتتأخر كده.

- متخافش، ولا هتتأخر ولا حاجة .. يلا بينا يا عم.

...

- أنتي فين يا زفتة .. هو ده اللي مش هتأخر عليكي!

بدأت المكالمة شديدة الغضب بسبب عدم استيقاظ سارة باكرًا.

- معلش يا حبيبتي، راحت عليا نومة.

صوتها كصوت الأطفال عند استيقاظها من النوم.

- بسرعة عشان ورانا حاجات كتير أوي النهارده.

- حاضر ربع ساعة وهكون عندك.

ظلت مريم في انتظار صديقتها التي دومًا تتأخر عليها.

قامت سارة بتغيير ملابسها ونزلت مسرعة حتى لا تتأخر أكثر على مريم، بينما تفكر في امتصاص غضبها خلال طريقها.

وصلت سارة إلى المنزل وأخرجت هاتفها، واتصلت بها ...

- أنا تحت البيت انزلي.

- ماشي أنا نازلة.

أغلقت الخط لتنزل لمقابلة سارة، عابسة الوجه شديدة الغضب.

وقفت سارة أمام المرآة تضع بعض مستحضرات التجميل وترتب حجابها وتضع عطرها المفضل، كعادة الفتيات، يقفن بالساعات أمام المرآة.

وقتهن يضيع في التجمل، يعرفن فقط أن الجمال في الشكل، ولا يعرفن أن الجمال الحقيقي داخل الإنسان، وأكثره في حيائه وخجله، وليس في جمال مكتسب يزيله الماء.

نزلت مريم مسرعة حينما انتهت من إعداد نفسها، وقد وصلت سارة تحت باب منزل صديقتها بعد أخذت تاكسي من أمام منزلها الذي لا يبعد كثيراً من منزل صديقتها.

- ما لسه بدري يا هانم، كل يوم أستناكي وتتأخري وأنتي قايلة إنك هتعدي عليا بدري.

قامت سارة بتقبيلها حتى تخفف من غضبها.

- أنا آسفة، والله ما أنتي عارفة إني نايمة متأخر، هجبلك شيكولاتة.

- كلي بعقلي حلاوة زي كل مرة.

فك وجهها العابس وابتسمت.

- شوفتي مع إنك بتضايقيني بس بردو مش بعرف أزعل منك، وكل مرة .. بعدهالك.

- طبعًا يا بنتي .. هو أنا أي حد.

- هههههه لا طبعًا، اتفضلي اركبي بقى، خلينا نروح المستشفى.

ضحكة لطفت بها سارة الجو حتى تخفف من غضب مريم.

- يالا يا بندقتي سمعينا حاجة بقى على ذوقك.

❁❁

أجمل ما تفعله الصدفة ..

أنها تجمع أشخاص لا يعرفون بعضهم،

حتى تنشأ بينهم علاقة أشبه بالخيال.

نزلت مع محمد حتى لا نتأخر على الجامعة.

- استنى بقى عشان الأتوبيس جاي.

وبينما نحن في انتظار الأتوبيس والشارع يعج بالناس في انتظار الأتوبيس ليذهبوا إلى عملهم رأيت طفلًا يجري مسرعًا ليقطع الجهة الأخرى من الطريق في عجلة من أمره، ليأتنا صوت آلة تنبيه من بعيد، سيارة .. إنها سيارة تتجه نحو الطفل في سرعة شديدة وهو غير منتبه، لأصيح ومحمد:

- حاااااااااااااااااااااااسب.

قلتها وأنا أجري نحو الطفل، قفزت في الهواء كي أبعده عنها، لأصطدم بها فاقدًا الوعي.

تذكرت تلك الحادثة التي حدثت لعائلتي عند ذهابهم في رحلة، ليكون ذهابهم الأخير.

انقلب الأتوبيس بسبب تهور السائق في السرعة الزائدة، نزل خبر الوفاة عليَّ كصاعقة البرق، تثبت في مكاني، لم أصدق عيني عندما رأيتهم أمواتًا، وأنا في الصف الثالث الإعدادي.

- وائل أنت كويس؟ رد عليا.

اندهش محمد من الصدمة لحظة رأى وائل على الأرض غارقًا في دمائه.

- أنت حيوان .. إيه السرعة اللي أنت ماشي بيها دي.

- والله هو اللي طلع من تحت الأرض وكان في ولد بيجري قدام العربية.

ازدحم الشارع بالناس، وكثرت الأصوات العالية، بينما أنا مستلقٍ على الأرض غارقًا في دمائي.

...

- الحمد لله متأخرناش في الطريق، وصلنا بسرعة.

- عيب عليكي يا بنتي، هو أي حد سايق!

ضحكت بصوت مرتفع لفت الأنظار.

- أنتي مجيفر ولا إيه؟!

- صوتك يا بت، الناس بتبص علينا، هنتمسك آداب بصوتك ده.

- هههههههههههه آداب مرة واحدة!

- لا على مرتين يا أختي، ممكن ننزل عشان نخلص بدري.

نزلت الفتاتان نحو المستشفى لإجراء بعض التحاليل الروتينية من باب الاطمئنان على صحتها.

عندما دخلتا الي حجرة الاستقبال بينما الطبيب يحمل دفاتر كثيرة في يده، والسماعة تتدلى من رقبته.

- هو احنا دخلنا مستشفى ولا مدرسة يا بندقتي، ده شكله بيذاكر.

- بس عيب .. الدوك بيعمل واجب المستشفى.

- هههههههههههه اسكتي بقى.

- ماشي يا أستاذة سارة.

- لو سمحت عايزه أعمل تحاليل وفحوصات طبية.

- بخصوص إيه؟

تحدثت مع ذلك الطبيب الذي رأته في غرفة الاستقبال.

- أنا متعودة كل ست شهور أعمل فحوصات.

...

- أنت لسه هتتكلم، الراجل سايح في دمه.

- طيب تعالى اركب معايا، هوصلك أقرب مستشفى.

...

- وائل، إيه يا حبيبي مالك شكلك زعلان.

- والله تعبان، الدنيا مش راضية تضحكلي، كل حاجة زي بعضها، احنا في عالم الكل بيبص لمصلحته، مفيش كويس، أنتي عارفة إنك الوحيدة اللي بتهوِّن عليا العيشة دي.

...

لم أدر بشيء سوى كلمات غير مفهومة.

- سوق بسرعة يا عم ... وائل أنت كويس؟ أنت سامعني!!

وصل محمد إلى المستشفى والتوتر يملأه.

دخل إلى قسم الطوارئ وهو يحمل صديقه الذي تنساب من جسده الدماء.

- حد يلحقني يا جماعة.

- في إيه يا أستاذ؟ هو إيه اللي ....

- في إيه؟! أنت مش شايف صاحبي بينزف، هات نقاله عشان تشيل.

تعجب محمد بشدة من برود موظف الاستقبال الذي يرى صديقه غارقًا في دمه، وما زال يتحدث دون أن يفعل شيئًا.

- حاضر، حاضر اهدا بس.

- أنت لسه هتتكلم، اجري بسرعة.

...

- طيب يا فندم اتفضلي استريحي، وهبعتلك مدام اعتماد تقوم معاكي باللازم.

خرجت ضحكة تملؤها السخرية من سارة، عندما سمعت اسم اعتماد.

- وكمان اعتماد، يا بنتي المستشفى دي شكلها غريب!

- ما هي دي أقرب مستشفى لينا، حضرتك لو كنتي جيتي بدري كان زماننا في حتة أحسن من دي.

- بصي كده على الفيل اللي جاي هناك ده.

- الظاهر يا سارة إنها مدام متفجرات.

بدأت السخرية من اعتماد التي ترتدي بالطو أبيض تملأه الدماء، كاد أن يشكو من زيادة وزنها، وعدم تنظيف ملابسها وقدمه عليها بدون تغير أو تبديل.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

- مين فيكم اللي هتعمل الفحص.

شاورت سارة بإصبعها على صديقتها بابتسامة تكتم بها الضحكة العالية لبشاعة المنظر وما ستفعله بها وهي معها، هذا ما رأته من اعتماد. نظرت إلى اعتماد بنظرة مشمئزة يبدو من خلالها القرف من ذلك المنظر.

أجابت على اعتماد:

- أنا اللي هعمل الفحص.

- تعالي معايا.

- طيب روحي معاها يا بندقي وأنا هستناكي هنا.

- لا يا سارة تعالي معايا أنتي هتسيبيني مع الست الغريبة دي!

...

"فرتكة فرتكة .. على الطبلة وعلى السكسكة".

رنت هاتف محمود التمرجي الذي أتى بالنقالة إلى وائل المصاب.

- ألو .. إيه يا أم العيال، أنا في الشغل عايزه إيه؟

أجاب محمود بكل برود على الهاتف، وكأنه لا يوجد مصاب في انتظاره وكل دقيقة تمر عليه فيها خطر على حياته، هذا ما يوجد في بعض المستشفيات، الإهمال أصبح عادة بين البشر، مات الضمير في العمل، كأن عدم احترام العمل أصبح سنَّة، كل الذي يهمهم الراتب في الشهر، ولا يهم الناس الذين يموتون كل يوم بسبب الإهمال والتقصير في العمل.

- أنت لسه هتتكلم في التليفون، الراجل بينزف خلي عند أهلك دم.

غضب غضبًا شديدًا، لأجل استهتار التمرجي بعمله.

- إيه يا باشا .. بلاش أكلم المدام.

- بقولك إيه .. بلا مدام بلا بتنجان .. الراجل هيموت.

ساد التوتر في أرجاء المستشفى، والصوت أصبح عاليًا.

- خلاص متتعصبش.

دخل وائل ولا يشعر بشيء حتى آلامه، رغم أن الكدمات تملأ جسده.

أتى الدكتور على صوت الصياح والشجار.

- في إيه؟ وبعدين الصوت عالي ليه؟!

- صاحبي عامل حادثة والناس هنا مش شايفة شغلها.

- إهدا .. الزعيق ملوش لازمة، جهزولي غرفة العمليات بسرعة.

- حاضر يا دكتور.

- اتفضل خلص البيانات الحالة .. يا اعتماد جهزي أوضة العمليات.

- ماشي أنا جاية حالًا.

أصبح الحديث بين الدكاترة والممرضين.

...

- اتفضلي اقعدي هنا، وثانية واحدة وجيالك.

ذهبت اعتماد وتركت سارة وصديقتها في غرفة الفحص.

- بقولك إيه يا سارة، متيجي نخلع من هنا.

- أنا بقول كده برده.

...

دخل وائل غرفة العمليات مع الدكتور وثلاثة من الممرضات.

كانت الغرفة مزدحمة بالأجهزة والسرير في منتصفها وعلى يمينه جهاز القلب، وفي اليسار اسطوانة الأكسجين، وطاولة وضعت عليها معدات العمليات من مشرط ومقص وغيرها.

- اعتماد نضفي الجرح ده وخيطي مكانه.

- حاضر يا دكتور.

قامت اعتماد بخياطة رأسه التي أصطدمت بالسيارة والأرض.

نظر الدكتور إلى ما فعلته اعتماد، وطلب منها أن تقوم بخياطة الجرح بثلاث غرز.

- دكتور، الحالة محتاجة نقل دم عشان تعوض النزيف ده.

- روحي هاتي كيس دم بسرعة.

ذهبت إحدى الممرضات لتأتي بكيس دم بعد أن قامت بعمل بفحص نوع الدم لتأتي بمثله، فوجدته +O .. لكن الفصيلة غير متوفرة داخل المستشفى، فذهبت لتبحث عن متبرع يحمل نفس الفصيلة.

رأى محمد الممرضة آتية مسرعة.

- لو سمحت يا آنسة، هو صاحبي عامل إيه؟

- صاحبك عايز نقل دم، وفصيلته مش موجودة.

- هي فصيلته إيه؟

- +O.

ذهبت سارة وصديقتها حتى أصطدمت بالممرضة.

- مش تحاسبي.

- معلش أصل في واحد جوه عايز نقل دم وفصيلته +O ومش موجودة.

- أنا ممكن أتبرع له، دي نفس فصيلتي.

- طيب تعالي بسرعة معايا.

- خلاص يا أستاذ متقلقش، الأنسة هتتبرع لصاحبك.

...

هل تلعب الصدفة دورها، أم تراه سيكون لقاءً عابرًا وينتهي؟ أحيانًا يضعنا القدر في حكايات لم نتوقع حدوثها.

❁❁

- أنا مش عارف أشكرك إزاي!

- لا شكر على واجب، إن شاء الله صاحبك هيبقى كويس.

- يلا يا آنسة.

ذهبت الممرضة ومعها تلك الفتاة ذات الشعر الأسود لكي تنقذ حياة شخص من الموت، لم تهتم من يكون بل كل تفكيرها أنه إنسان، وأنه في مقدرتها أن تساعده، لم تفكر لحظة في ذلك القرار حتى اتخذته.

- شوفتي بقى .. تأخيري اللي مكانش عاجبك جعلك سبب في إنقاذ حياة إنسان.

- الحمد لله يا سارة، المهم إنه يبقى كويس.

بعد الانتهاء من التبرع بالدم حملت الممرضة كيس الدم وذهبت مسرعة لإنقاذ وائل.

...

وأنا بين الحياة والموت مستلقٍ في غرفة العمليات ما زال عقلي يفكر بتلك الفتاة، ملامحها لم تفارقني، صاحبة النظرات الخاطفة والابتسامة الساطعة من وجهها المشرق دائماً.

- وائل أنت كويس، إيه اللي حصلك أنا سيباك كويس، أنت غارق في دمك متخضنيش عليك.

- عمر الشقي بقي، وأنتي عارفة إني زي القطط بسبع أرواح.

- بالله عليك، أنا مرعوبة، أنا مليش غيرك.

- حاضر يا حبيبتي هبقى كويس.

...

علقت الممرضة كيس الدم الذي تبرعت به صاحبة الشعر الأسود لذلك الشاب الذي أغرمت به بمجرد نظرة، ولا تعرف أنه هو الذي أصبح دمها يجري في جسده.

بعد وقت خرج الدكتور من غرفة العمليات:

- خير يا دكتور، وائل عامل إيه .. طمنني.

كاد قلقه على صديقه يقتله، لقد اعتبره أكثر من أخ، وقد بدأت صداقتهم مع أول يوم في الدراسة.

- الحمد لله صاحبك بقى كويس، هما شوية كدمات وارتجاج بسيط في المخ نتيجة الحادثة ونقلناه العناية، الحمد لله جت سليمة.

- الحمد لله يا دكتور.

اطمأن قلب محمد بعد أن أخبره الدكتور حال صاحبه.

- بعد إذنك.

- اتفضل يا دكتور.

- الدكتور قالك إيه على صاحبك؟

- هو لسه مطمنني عليه، وهيقعد في العناية لحد ما يفوق من الغيبوبة.

- طيب الحمد لله.

- أنا مش عارف أشكرك إزاي لولاكي كان زمانه ميت، أنتي ربنا بعتك ليا من السما.

- أنت المفروض تشكر سارة عشان هي اللي أخرتنا وجينا أقرب مستشفى.

ابتسمت عند حديثها حتى تخفف من توتره، قابلها بابتسامة بعد توتر شديد على صديقه.

- شكرًا يا سارة إنك أخرتيها.

- لا ده العادي بتاعي.

- هههههههههه، شوفت بقى إنها متأخرة على طول.

بدأ الجو يأخد بعض الارتياح بعد قلق طول اليوم.

- بس إن شاء الله صاحبك هيقوم بالسلامة.

طمأنت الفتاة محمد قليلًا خلال حديثها.

- احنا لازم نمشي عشان اتأخرنا أوي.

- ماشي اتفضلوا وشكرًا مرة تانية على المساعدة.

- لا شكر على واجب.

- عايز حاجة قبل ما نمشي.

- ربنا يخليكي.

بعد أن اطمأنت الفتاة أن الأمور بخير انصرفت هي وصديقتها، ليعود محمد بجوار صاحبه.

هل تعرف تلك الفتاة أنها أنقذت حياة من تعلق عقلها به؟ أم ستكون صدفة قد أتت بها لإنقاذه دون معرفته؟

❁❁

مر شريط حياتي بالكامل أمام عيني، لأرى جدتي، تلك المرأة العجوز التي ابيض شعرها لأجل تربيتي بعد أن وفاة ابنتها، حبي لها لا يقدر بثمن، إنها مثل الملائكة، حنونة، عطوفة، عانت الكثير.
أريد أن أعوضها عن تلك الفترة التي مرت بها، من يتحمل الأيام الصعبة التي عشناها معًا، حتى أصبحت شابًا يعتمد عليه وبدأت حياتي العملية لكي أساعدها في المصاريف. أحمد الله دائمًا على نعمة جدتي التي عوضتني فقدان عائلتي.
عملت في محل لبيع الملابس، وكان العمل أشبه برسم لوحة عندما تتناسق الملابس بألوانها مع بعضها حتى تصبح تحفة فنية يعجب بها من يراها، كسبت المال الوفير من خلال عملي الجاد والمتميز، وفي عيد الأم جئت بمفاجأة لأحن جدة على وجه الأرض.

...

ذهب محمد حتى يطمئن على صاحبه بعد أن ظل معه وحيدًا، وأثناء تجوله في الممر متجهًا إلى غرفة العناية رأى الدكتور خارجًا من الغرفة.

- لو سمحت يا دكتور، وائل عامل إيه؟

- هو كويس، بس هيبات معانا لحد ما يفوق من الغيبوبة اللي هو فيها.

- هو هيفوق إمتى؟

- لو النهارده عدى على خير احتمال بكرا.

- يا رب يعديها على خير.

- أنت تقدر تروح وتيجي بكرا.

- لا يا دكتور، أنا مش هقدر أسيبه لوحده.

- صدقني وجودك ملوش لازمة، تروح ترتاح وتيجي بكرا أحسن.

- خلاص اللي تشوفه.

...

- احنا اتأخرنا أوي يا سارة، تفتكري هنلحق!

- مش عارفة، اليوم كان رخم، مستشفى وقرف أنا تعبانة.

- خلاص تعالي نروح أي حتة ناكل ونروح بكرا وخلاص.

- هتأكليني إيه يا بندقتي؟!

- اللي تعوزيه يا سيرو.

- ماشي، في كافيه قدام البحر حلو أوي احنا نروحه.

- أيوه بقى البحر واللي في البحر.

كانت سارة تقصد الليلة الماضية عندما رأت مريم الشاب الجالس بجوارها.

- بس يا بت.

- هههههههه أنا هسكت.

- بس تفتكري ممكن نشوفه تاني!

- مين؟! الواد بتاع المستشفى؟!

- لا يا بت طبعًا.

- أومال قصدك مين؟

- الولد بتاع امبارح.

ابتمست ابتسامة يملؤها الأمل في أن تراه مجددًا.

- يا سيدي! .. هو شدك للدرجة دي؟!

- هههههههههه لا طبعًا، هو كان بيكتب إيه؟

وصلت الفتاتان إلى الكافيه أمام البحر، جلست أمام النافذة التي تنظر إلى نفس المكان الذي رأت به هذا الشاب، آملة أن تراه مرة أخرى.

...

كانت المفاجأة أن تذهب لقضاء العمرة، هذا أفضل ما أقدمه إلى جدتي لأعبر عن حبي وامتناني، وأشكرها على ما فعلته لأجلي، وعلى حسن التربية.

علمتني أيضًا معنى الحنان والطيبة والرحمة بالآخرين.

عندما ذهبت إلى رحلتها وتركتني وحيدًا، لكي تقوم بأداء عمرتها، ظللت أعمل وأجتهد حتى أفاجئها مرة أخرى عند عودتها سالمة بأن أقوم بتجهيز البيت وتغيير ألوانه حتى تتناسب مع عودتها.

لقد حان موعد وصولها، بعد تلك الفترة من الغياب.

ذهبت إلى المطار لاستقبالها، مرت عليَّ تلك الفترة كأنها سنة، زادت دقات قلبي لهفةً، يملؤه بعض التوتر.

شعرت بإحساس غريب لم أعتده من قبل، وعندما أتت وقابلتني بوجهها البشوش والابتسامة التي لا تفارقها، أسرعت إليها لكي آخذها في حضني.

اقتربت منها ووضعتها على صدري والتفت يدي حولها ثم همست في أذني وقالت لي:

- ربنا يخليك يا ابني ويسعدك.

ثم أخذت أنفاسًا طويلة.

لم أفهم معنى تلك الجملة إلا بعد أن استلقت على الأرض، وفارقت الحياة.

تملكتني هستيريا من البكاء الشديد مع ازدحام المكان بالناس، لم أرَ سوى جثمانها على الأرض، تذكرت حادث أبي وأمي الذي

مر عليه سنوات، كم أصبحت شخصًا وحيدًا، لا يمتلك من يخفف عنه متاعب الحياة سوى ربه الذي خلقه في الدنيا!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- حد يجيب الإسعاف يا جماعة.

- البقاء لله يا أستاذ متعملش في نفسك كده!

تداخلت أصوات الناس، ولم أفرق من يتحدث، لكي يخفف عني مأساتي ويهوِّن رحيلها، أصبحت الآن يتيمًا بمعنى الكلمة.

توقف عقلي عن التفكير وقلبي عن النبض، ها أنا ميت في جسد حي، خرجت روحي مع خروج روح جدتي من جسدها. أرى كل شيء مظلمًا، وانطفأ النور من عيني، لا أرى شيئًا أو أسمع.

انتهت حياتي معها وانتهى كل شيء جميل، أصبحت كالماضي ضعيف، ولم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة، انتابتني حالة من الصمت والبكاء الشديد.

هل سأبقي وحيدًا طيلة عمري؟ أو سيتغير إلى الأفضل؟

❁❁

بعد أن اطمئن محمد على وائل، غادر المستشفى ليستريح، ويبدل ملابسه الملطخة بالدماء على أن يأتي له في الصباح الباكر حتى يعتني به، إنه أقرب صديق له هنا.

- مالك يا محمد إيه الدم ده.

قابلته والدته عند دخوله إلى المنزل بصراخ شديد أثر الخوف مما رأته من كثرة الدماء التي تملأ ملابسه، ظنت أنه أصيب أو حدث له مكروه. إنها طبيعة الأم، تخاف على أولادها حتى من الهواء، دائمًا تحرص على أن يكون في أفضل حال وسعادة.

- متخافيش يا ماما، أنا كويس.

- طيب إيه الدم ده.

- ده وائل صاحبي عمل حادثة.

- لا حول ولا قوة إلا بالله، طيب هو عامل إيه؟

- الحمد لله كويس، بس هو في العناية وبكرا هروح أطمن عليه.

- طيب يا حبيبي أنا هحضرلك الأكل على ما تدخل الحمام تغير هدومك.

- ماشي يا ماما.

...

فتحت عيني لأرى نفسي نائمًا على سرير ومعلق بيدي محلولًا، وأرتدي ماسك الأكسجين. لا أتذكر ماذا حدث، لا أحد هنا، هل اقتربت نهايتي لألتحق بعائلتي حتى لا أكون وحيدًا؟

لقد أفقت للحظات ثم عدت مرة أخرى في الغيبوبة لأغيب عن الواقع وما به من ذكريات مؤلمة، ما زالت مؤلمة رغم مرور السنين، لا أعلم كيف أنساها، تلاحقني في كل مكان حتى وأنا فاقدًا للوعي، لم أسلم من الجرح الذي دام طويلًا بداخلي، تعبت من كل شيء وحدتي تقتلني وتقتل معها شبابي.

جعلتني الوحدة عجوزًا في جسد شاب، كل يوم يزيد همي أكثر فأكثر، أكلم نفسي بالساعات حتى أصبحت سجين وحدتي.

...

- مين قالك يا وائل إنك لوحدك؟

- أنتي شايفة إيه، أنا طول عمري لوحدي!

- أومال أنا روحت فين، أنا معاك على طول بس أنت مش بتبص كويس.

- عارف إنك الوحيدة اللي بتبقى معايا لما بحتاجلك.

- على فكرة يا وائل محدش هيكسر وحدتك غيرك، في ناس حواليك بتحبك بس أنت عازل نفسك عنهم، وحاطط سور.

- ما هو يا بنتي محدش بيقربلي ولا بيحاول يعدي السور ده غير عشان لو عايز حاجة.

- لا يا وائل، أنت اللي عامل كده في نفسك، لازم تعيش حياتك وتفوق لنفسك.

...

- ميرسي يا بندقتي على العزومة الجميلة دي.

- متقوليش كده يا سارة، أنتي اللي ليا في الدنيا دي.

- حبيبتي يا بندقتي، المكان هنا حلو أوي، شايفة المنظر والبحر والسما جميلة إزاي.

أبدت سارة إعجابها الشديد بالمكان الرائع الذي يطل على البحر، إنه أكثر مكان يبعث الراحة في القلب.

- تعالي نطلع نتمشى شوية قدام البحر.

- ماشي يا بندقتي.

بعد تناول الغداء قامتا للاستمتاع بالسير على الشاطئ ونسمات الهواء اللطيف، فأشارات إحداهن للجارسون ليأتي بالحساب.

- لو سمحت ممكن الحساب ..

- لحظة واحدة يا فندم.

ذهب الجارسون ليحضر لها الشيك حتى تغادر.

- اتفضلي.

وضعت ذات الشعر الأسود المبلغ المطلوب في حافظة الشيك، وشرعتا في التوجه نحو الشاطئ المواجه للكافيه، المكان ذاته الذي جلس فيه الشاب الذي دق القلب والعقل له.

يدور في ذهنها أنها ستجده جالسًا في مكانه الذي رأته فيه، أول مرة تتجذب لشخص يشبهها في التفكير وهدوء النفس.

- يا بنتي أنتي سرحتي في إيه؟!

- ها ...

- ها إيه، أنا بتكلم بقالي ساعة وأنتي سرحانة.

- معلش يا سارة.

- شكلك لسه بتفكري في الولد بتاع امبارح.

- لا ولا بفكر ولا حاجة.

- ماشي، بس عينك بتقول غير كده خالص.

- هههههه لا يا سارة، احنا لازم نمشي بقى.

- ماشي، زي ما تحبي.

...

جاءت سيارة الإسعاف وذهبت فيها بصحبة جدتي واضعًا رأسي على جسدها، لأنها ستكون آخر مرة أشعر فيها بدفء حضنها، قمت بتقبيل جبهتها.

وداعًا عزيزتي هذه آخر مرة نجلس معًا حتى يأتي اليوم وأجلس معك في الجنة،سأفتقدك.

منذ ذلك الوقت أصبحت حياتي بين الورقة والقلم، تنحى إحساسي جانبًا، أصبح كل ما يدور داخلي كلمات تكتب على ورق لتعبر عن حالي وما أنا عليه.

يقولون أنني أصبحت باردًا عديم الإحساس، لم يدخلوا بداخلي لكي يعرفوا سبب هذا البرود، إنه ناتج عن الكبت الذي أصابني، ولم يفكروا في تغيري بل انتقدوني فقط.

...

انعدم إحساسي ومشاعري بانعدام وجود أحد معي، كأن اليوم أشبه بالبارحة، عندما انتهيت من مراسم دفن أبي وأمي، زادت آلامي ووحدتي إذ لا يوجد شخص أشعر معه بالارتياح غير قلمي وكتاباتي.

بعد الانتهاء من كل شيء ذهبت إلى المنزل ودخلت غرفتها، تذكرت كل شيء حدث لي. يمر الوقت وتفوت الأيام، ورغم ذلك لا ننسى الذكريات، فبعضها كان سعيدًا، وتمنيت أن يستمر، والبعض الآخر مر مثل مذاق القهوة بدون سكر.

...

- خلصتي الأكل ولا لسه؟

- آه يا حبيبي خلصته، غير هدومك وتعال.

بدَّل محمد ملابسه ودخل غرفة الطعام حتى يأكل ويستريح من تعب اليوم.

- تعالا أنا عملتلك الأكل اللي بتحبه.

- تسلم إيدك يا ماما.

- كُل وادخل ارتاح عشان شكلك تعبان.

جلس محمد على طاولة الطعام ولم يأكل جيدًا بسبب الإرهاق وقلقه على صديقه.

- الحمد لله.

- أنت مكملتش أكلك.

- أنا هدخل أنام وصحيني بكرا بدري.

- ماشي يا محمد، تصبح على خير.

...

ذهب محمد إلى المستشفى في الصباح وظل جالسًا بجوار وائل حتى أفاق من حالته التي مرت بسلام دون أي مشاكل.

- حمد لله على سلامتك يا عم، خضتني عليك.

فتحت عيني لأرى محمد جالسًا جواري عقب نقلي من غرفة العناية.

- هو إيه اللي حصل؟

- أنت عملت نفسك شجاع وأنقذت طفل كانت هتخبطه العربية.

- طيب الولد كويس؟

- آه يا عم، وزمانه بيلعب كمان، المهم أنت حاسس بإيه؟!

- راسي وجعاني وجسمي كله متكسر.

- معلش من الحادثة.

- هخرج من هنا امتى؟

- مش عارف، لما الدكتور يجي.

- بس أنت هتبات عندي لحد ما تفوق.

- لا يا عم، أنا هروح البيت.

- اسمع الكلام.

بعد ثلاث دقات على باب الغرفة دخل الدكتور ليطمئن على حالة وائل، لتطل منه ابتسامة عند رؤيته.

- عامل إيه النهارده يا بطل؟

- أنا الحمد لله أحسن، عايز أعرف أنا هخرج امتى؟

- أنت مستعجل ليه كده!

- أصل مبحبش القعدة في المستشفى.

- إن شاء الله أنت هتخرج بليل، أنت تحمد ربنا أننا لقينا فصيلة دمك.

- الحمد لله، بس مين اللي اتبرع لي بدمه؟

- مش عارف، المهم إنك بقيت كويس .. أسيبك ترتاح بقى.

- ألف شكر يا دكتور.

غادر الدكتور بعد أن اطمأن على صحته وأخبره بموعد الخروج.

- بس هي زي القمر، يا بختك يا عم.

- هي مين يا محمد!

- اللي دمها بيجري في جسمك.

- خلاص تعال اشرب من دمي هههههه.

ظل المرح وخفة الظل يملآن المكان بعد استشفاء وائل.

جاء الليل، وغادرا المستشفى إلى بيت محمد لتستقبله الأم بترحيب شديد بعد خروجه من المستشفى سالمًا.

دخل وائل غرفة محمد ليرتاح من تعب اليوم ليجلس في منتصف السرير محاولًا البحث عن راحة جسده بينما عقله يزدحم بالتفكير بالأحداث التي تحدث له.

...

- الحمد لله إنك قمت بالسلامة، أنا كنت قلقانة عليك جدًا.

- الحمد لله أنا كويس، أنتي عاملة إيه .. وحشاني أوي ونفسي آخدك في حضني زي زمان.

- أنا كويسة عشان أنت قمت بالسلامة.

- اوعدني أنك تاخد بالك من نفسك وتهتم بيها شوية.

- حاضر إن شاء الله.

- هسيبك بقى ترتاح وآجي أطمن عليك تاني.

...

نور هادئ، مريح للأعصاب، دقات على الباب من محمد، ومعه صينية ملأها الطعام الذي أعدته والدته خاصة له حتى يستعيد الطاقة والحيوية من جديد.

- إيه يا عم كنت نايم!

- لا ...

- ماشي، حماتك بتحبك وعاملة لك فراخ وشوربة وملوخية والأكل اللي أنت بتحبه، عايزك بقى تخلصه كله.

- بس ده كتير أوي، تعال كل معايا.

- أنا هاكل كمان شوية، لو عوزت حاجة نادي قول جزر هتلاقيني عندك هههههههه.

- مش عارف من غيرك كنت عملت إيه؟

- أنت أخويا يا وائل، متقولش كده.

- خلص أكل وأعملك شاي.

ابتسم محمد قبل رحيله وذهب إلى البلكونة ومعه هاتفه ليتصل بصديقته غادة التي تدرس معه في نفس القسم.

- مساء الجمال الهادي، طالع على القمر مش عادي.

قال هذه الجملة ليرحب بغادة على طريقته.

- عامل إيه يا ابني فينك!

- أنا الحمد لله، أنتي عاملة إيه؟

- الحمد لله، بخير فينك بقالك يومين؟

- اسكتي مش وائل عمل حادثة.

- إزاي ده يحصل ومتكلمنيش!

- اللي حصل بقى، أنا دماغي مكانتش فيا ساعتها.

- طيب طمنني عليه، هو عامل إيه؟

- الحمد لله تمام، أنا جبته يبات عندي لغاية ما يتحسن.

- طول عمرك أصيل يا محمد.

- ده أخويا يا بنتي.

- يا محمد ....

قاطع حديث غادة صوت نداء وائل.

- شوية وهرجع أكلمك عشان وائل بينادي، هشوفه وآجيلك.

- ماشي، سلملي عليه كتير.

- حاضر.

انتهت المكالمة مؤقتًا حتى يطمئن على صديقه، وهو في طريقه إلى وائل دخل المطبخ ليعد الشاي الذي يفضله بعد الأكل.

- إيه يا عم، أنت مكلتش ليه!

- كلت الحمد لله.

- فين ده .. الأكل لسه بحاله! خلاص عملتلك كوباية شاي تظبط دماغك.

- تسلملي يا رب.

بعد انتهاء اليوم الذي طال بكل أحداثه لكل ما فيه من حلو ومر، وانتهى مثل غيره من الأيام التي نعيشها، فكل يوم يمر علينا نتعلم ونتعرف على أشياء جديدة، منها ما نستفيد به ومنها ما يمر علينا مرور الكرام.

لكن لابد أن نستمتع بيومنا بكل ما فيه، لأن اليوم الذي يضيع من حياتنا لا يعوض مطلقًا، اختار من الأسوء أحلاه وعِشه، لأن الحياة ستمر فلندعها تمر كما نريد، في فرح وإن كان أسوأ أيامنا.

❁❁

صباح يوم جميل، سماؤه صافية، فيه الشمس مشرقة مع زقزقة العصافير وتغريد البلابل، سيحدث أمر غير متوقع إطلاقًا، سينير الظلام بعد عتمة، سيكون مضيئًا بلا انقطاع أو خوف من ذكريات الماضي الأليم.

كل شيء سيبدأ من جديد، حياة جديدة ستكتب له كأن الله جعل ذلك الحادث يغيره ليبدأ من جديد، ناسيًا الماضي مخططًا للمستقبل، تتفتح الأزهار وتحلو الحياة بعد مرارة الأيام التي مر بها.

استيقظ وائل ومحمد في اليوم الثاني لاستشفائه حتى يذهبا إلى الجامعة ليكملا يومهما الدراسي لاقتراب الامتحانات نهاية العام الدراسي لهم.

- صباح الخير يا محمد.

رد وائل تحية محمد بابتسامة تعلق كل من رآها به وتبث البهجة في قلبه.

- صباح النور، أنا شايفك أحسن خالص النهارده.

- الحمد لله تمام، يلا بينا عشان منتأخرش على الجامعة.

- حاضر، يلا بينا.

بعد الانتهاء من المشروب الصباحي نزلوا متجهين إلى الجامعة متخذين الباص كل منهم منشغل في أمر يدور في دماغه.

منهم من يفكر في الماضي وآخر يفكر في الحاضر، مع ازدحام الباص وتداخل الأصوات من يبحث عن عمل، من ينتظر الترقية المتأخرة، وآخر يريد أن يمر اليوم في لمح البصر حتى يحصل على الأموال، كل ذلك مع صوت الأغاني التي تدور حولهم. حياة أخرى داخل الباص، وكل منهم له حكاية.

أخيرا هبطوا من الباص متجهين للجهة المقابلة، لكي يدخلوا سيرًا بين الطلاب.

رائحة عطور الطالبات تملأ الأجواء المحيطة، يدخلن الجامعة وكأنهن يبحثن عن عريس، رافعين شعار: "عريس يا أبوي".

يلتفت وائل يمينًا ويسارًا، ينظر إلى من حوله، ويستمع إلى من أمامه وحوله من الناس الذين يسيرون في الجامعة.

أثناء سير محمد اصطدم بفتاة جميلة ذات عيون عسلية، قصيرة القامة، بيضاء الوجه كقمر يظهر نهارًا.

- أنت حيوان .. مش تحاسب!

التفتت خلفها وهي تتحدث، كان عطرها خلابًا طيب الرائحة.

- آسف والله مكنش قصدي.

- هو أنت!!!!

إنها سارة، وصديقتها مريم.

- أنتي مين؟!

- مين إيه يا عم، أنا سارة ودي مريم اللي اتبرعت لصاحبك.

هي مريم، صاحبة الشعر الأسود التي شغلتني بمجرد نظرة منها وتعلقت بها، أصابت عقلي بعلة التفكير الشديد بها، لم أعرفها من قبل، ولكن نظرتها وإحساسها وإنقاذها حياتي دون علم منها، جعلها تلقى احترامي لها، وزاد شغفي في التعرف عليها أكثر.

...

- ازيكم، وصاحبك عامل إيه؟

- الحمد لله، صاحبي قدامك أهو.

لم تنتبه مريم لملامح هذا الشاب التي كانت جالسة بجواره أمام البحر.

- أنت لازم تشكر مريم عشان اتبرعت لك بالدم.

قالها محمد، والابتسامة مرسومة على وجهه.

- شكرًا على إنقاذك حياتي، جميلك ده فوق راسي.

كان حديثًا يملؤه الخجل لما فعتله له.

عندما دققت مريم النظر إلى وائل، تذكرت أنه هذا الشاب الذي كانت تنظر إليه.

سكون شديد ساد المكان مع سقوط دمعات من عين صاحبة الشعر الأسود.

الفتاة التي تعلق قلبها من مجرد نظرات لشاب غامض لم تعرف عنه شيء غير أنه يجيد الكتابة، أنقذته من الموت ولم تعرف أنه هو حتى تقابلا من جديد في هذا اليوم الغريب.

الصدفة جمعتهم هذه المرة ليتعارفا من جديد وقد تعافت الأرواح من قبل.

- إزيك، أنت كويس دلوقتي؟

- آه الحمد لله، الفضل ليكي بعد ربنا.

- إيه يا جماعة، احنا هنفضل واقفين هنا؟!

- تعالوا نقعد في الكافتيريا نشرب حاجة على حساب وائل بقى.

داعبت سارة وائل.

- بس كده .. من عيني.

انطلقت مريم مع سارة في الأمام، ومحمد ووائل خلفهما.

- إيه يا بت أنتي .. لما شوفتي الواد دمعتي ليه؟!

- عارفة ده مين يا سارة ...

- هيكون مين؟!!

- ده اللي كان قاعد بيكتب جنبنا.

- أيوه بقى .. تعجبي بيه في يوم، وبعد كده تنقذي حياته، وبعد كده يخف وترجعي تشوفيه تاني، وكمان نتعرف على بعض .. ده ربنا بيحبك!

...

- شوفت بقى يا عم إن ربنا بيحبك، البنت اللي أنقذتك زي القمر.

- أنت عارف إن مليش في المواضيع دي.

- بص بقى، اتعرف عليها مش هتخسر حاجة .. خليك لطيف.

- سيبها لله أنت بس.

وصلوا الكافتيريا التي تقع في منتصف حديقة الجامعة .. مشهد الطبيعة يريح النفس، ويخرجها عن أي ضغوط، بجمال أزهارها وورودها المتفتحة.

- اقعدوا يا جماعة .. المكان مكانكم بالظبط.

بخفة دم ومرح من سارة التي دائمًا ما تطلق بهجتها في المكان.

- تشربوا إيه يا جماعة؟

- شكل وائل مستعجل إنه يحاسب.

رد وائل بضحكة ذات جاذبية لمن حوله:

- مش أنا اللي هحاسب يا محمد.

أتى عم أحمد العامل بالكافتيريا، كبير السن لكنه مرح كالأطفال، شعره أبيض، يرتدي يونيفورم المكان.

- هتطلبوا إيه؟

- قهوة فرنسي زيادة و3 كابتشينو والحساب عند سارة.

داعب محمد سارة.

- احنا متفقناش على كده هههههه.

- لا لا عند وائل يا عم أحمد.

- حاجة تانية؟

- لأ شكرًا.

- وأنا هاخد شاي بحليب هههههه.

ممازحًا عم أحمد الجميع، فبادله وائل المزاح:

- ماشي يا عم أحمد .. براحتك.

تملأ النظرات المكان بين الجميع، كل واحد تتفحص عيناه الآخر، بنظرات يملؤها كلام بداخله الخجل، كلام يروي حكايات ودَّ كل منهم لو أطلع الآخر عليها، غير أن كل منهم ينتظر من يجازبه أطراف الحكاية.

- وسع وسع .. أحلى طلبات لأحلى شباب في الجامعة كلها، والورد لأحلى بنات عندنا.

- ربنا يخليك يا عم أحمد .. تسلم إيدك.

قالها محمد بلطف شاكرًا عم أحمد.

- هو أنت عملت حادثة إزاي يا وائل؟!

- خلي بالك، ده سوبر مان هههههههههه.

- هتهزر يا محمد .. الولد كان بيجري وعايز يعدي الشارع ومش واخد باله إن في عربية جاية بسرعة، فجريت ولحقته والعربية لما خبطت فيا جت نصين عشان أنا قوي زي ما أنتي شايفة!

- ما هو واضح ..

مازحت مريم وائل، لتشع البهجة من الجميع.

- بقولك يا سارة، هاتي الكوباية بتاعتك وتعالي معايا.

- هنروح فين يا أستاذ؟!

- هنشوف حاجة ونرجع على طول.

- ترك محمد وسارة المكان لإتاحة الفرصة لمريم ووائل للحديث، دون خجل، وليتعارف كل منهم على الآخر.

غمزت سارة مريم حتى تقول لوائل ما بداخلها من مشاعر دون حرج أو خجل.

...

- تعرف يا محمد إن احنا شوفنا صاحبك قبل كده .. كان قاعد جنبنا على البحر بيكتب، ومريم كانت مشغولة بيه.

- هو كده، بيحب يقعد لوحده على البحر ويكتب.

- قولي يا رب إنها تخليه يعرف يتكلم، أصله قافل على نفسه.

- فعلًا .. تحس إنه غامض كده.

- جدًا يا بنتي، بس دي أجمل صدفة حصلت عشان اتعرفنا على بعض.

- هههههههه بكاش أنت جدًا.

- آه والله يا بنتي، دي حقيقة.

- يا راجل! هعديها بمزاجي.

...

- قوللي بقي كنت بتكتب إيه على البحر؟

- إمتى ده؟!

- قبل الحادثة .. ما أنا اللي كنت قاعدة جنبك بس أنت مخدتش بالك.

- هههههههههه لا خدت بالي بس مكنتش مركز معاكي.

- تعرف إن دي أول مرة أتشد لشخصية واحد بيكتب كده.

- متكلميني عن نفسك شوية يا سارة.

- عايز تعرف إيه يا محمد ...

- كل حاجة عنك.

- و ده من إيه بقى!

- عادي يعني آدينا بنتعرف على بعض شوية وبنقرب شوية.

- ويمكن نحب بعض شوية هههههههه.

- هههههه شكلك مش بتضيع وقت.

- بهزر يا ستي بلاش.

- لا يا أخويا هزر براحتك.

- بص بقى يا سيدي، أنا بنت عادية جدًا بحب كل حاجة حلوة في الحياة، الخروج والهزار، بحب أعدي كل لحظة عليا وأنا مستمتعة بيها، نقدر نقول إني مجنونة، ومريم أقرب حد ليا، احنا اتنين في واحد، نعرف كل حاجة عن بعض .. بس كده، احكي أنت بقى.

- أنا زيك كده برده، مليش غير وائل اللي بستريحله بعد ما جه الأسكندرية، بحب دايمًا أروح السينما، أتمشى .. أخرج، وعندي صاحبة زي السكر اسمها غادة، بقعد أحكيلها لما أكون متضايق زي الدكتورة بتاعتي، نفسي أقابل البنت اللي مفيش زيها .. حد زيك كده هههههههههه.

- هههههههههه زيي كمان! أنت بتعاكس بقى.

- أصل الصراحة مينفعش أشوف القمر وما أعاكسهوش.

- ربنا يخليك.

- تعالي نرجع عشان ميزعلوش.

- ماشي ..

...

- أيوه يا عم، البت واقعة على الآخر.

- هههههههه واقعة إيه بس .. اسكت.

- بس هي بتحبك أوي .. اوعى تتخلى عنها دي اللي حيتك تاني، أنت كنت فين، مش شايف أنت دلوقتي عامل إزاي وشكلك عامل إزاي، أنت اتحسنت كتير عن الأول والحياة رجعتلك تاني بعد ما شوفت كل حاجة حلوة.

- مفيش حاجة اسمها حب دلوقتي.

- متقولش كده، أنت بتكدب على نفسك، مخترع كدبة وعايش فيها من زمان، عشان تهرب من الواقع اللي مش قادر تعيشه لوحدك .. الحب موجود جواك بس لازم تدوَّر عليه في نفسك عشان تقدر تلاقيه في قلوب الناس. بص حواليك هتلاقي الحب في كل مكان، في صحابك، في البنت اللي أنقذتك وأنت دلوقتي قاعد معاها. حِب نفسك عشان تعرف تحبها، الحب حواليك بس دوَّر عليه ودي بتحبك بجد، لو سيبتها هتندم كتير على النعمة دي، دي هدية ربنا ليك، فلازم تحافظ عليها.

- خلي بالك من نفسك عشان هغيب عنك شوية.

...

- أنا مش هنكر، نظراتك شدتني لما كنتي بتبصي عليا، وكمان ارتحت لما اتكلمت معاكي، بس مش عايز أخسر حد، كفاية اللي خسرته.

- طبعًا دلوقتي بقى دمك بيجري في جسمي .. من غيرك كان زماني ميت.

- بعد الشر عليك، أنا زعلت عليك لما عرفت إن أنت اللي عملت الحادثة.

- يلا الحمد لله.

- المهم إنك بقيت كويس.

- عايزة أقولك على حاجة، أنت بجد حد غريب.

- غريب؟!!

- أول مرة أشوفك فيها شدتني ليك من غير ما تتكلم .. بنظرتك وابتسامتك، حسيت إني عايزة أعرفك وأعرف عنك كل حاجة، وأتكلم وأحكيلك كل حاجة عني ... مش عارفة ليه، بس مجرد إحساس إني مرتاحة لما شوفتك.

- أنت فيك شيء غريب بتجذب بيه اللي قدامك، بسكوت .. مش لازم تتكلم عشان تخلي حد يقرب منك، كفاية نظرتك وابتسامتك اللي مليانة بهجة وسعادة.

- عينك بتفهم اللي حواليك من نظرتهم، سكوتك سر قوتك .. حبيت فيك هدوءك.

- أنا كمان شوفت في عينك لمعة غريبة كأنك شايلة حاجات جوه قلبك، والبحر ده الصديق الوحيد اللي بتعرفي تطلعي كل اللي جواكي معاه، عينك مليانة حكايات كتير أوي، زعلانة بس فرحانة، متضايقة بس بتضحكي، محدش يعرف إيه اللي جواكي .. مش بتقولي لحد ولا بتتكلمي، بتداري مشاعرك في هزارك، في كتابك اللي بتقرأيه عشان تغيبي عن الواقع. أنتي دايمًا بتطلعي الطفلة الصغيرة اللي جواكي عشان تداري وتخبي نفسك الحقيقية.

الدموع ملأت عينها متأثرة بكلام وائل لها، لأنه استطاع أن يقرأ ما بداخلها من مشاعر بمجرد النظر لها، بدون أن تتكلم عن نفسها، وتتمنى من الله أن يكون شريك حياتها ليعوضها الأيام السابقة.

عاد محمد وسارة بعد أن انتهوا من الحديث فرأوا بأعينهم دموع الحزن الممزوجة بالفرحة، قلب في جسمين .. كل منهم يمتلك نصف قلب الآخر، لم يعرفوا بعض مسبقًا ولكن القدر أتى ليجمع قلبهم ببعض.

- إيه الدموع دي، أنتم قولتوا لبعض إيه يا عم وائل؟!

- مفيش يا محمد، كنا بنتكلم في الذكريات.

- ذكريات كده على طول .. لأ أنا أجيب اتنين ليمون.

قالتها سارة بعد أن جلست لتمزح معهم.

- بقولكم إيه .. تعالوا بقى نفكنا من جو الكلية ونروح أي حتة .. ولا إيه رأيكم؟

- اقتراح جميل يا سيدي.

- هو بقى سيدك خلاص يا سيرو .. مبروك، طيب والفرح امتى؟

- هههههههه بس يا بت، الواد لسه صغير.

- هههههههه لا والله لسه صغير! طب يلا بينا يا وائل ونسيبهم.

- لا .. لا أنا بهزر معاك يا بيبي.

- أيوه كده، اتعدلي.

- مسيطر يا محمد.

ابتسمت مريم من كلام محمد وسارة.

❁❁

بين أجراس الكنائس وأذان الجامع جمع القدر قلبين، كل منهم على دينه، ولديهم قلب واحد ليس له علاقة بالدين ولا باختياره، إنه الحب الذي جمعهم، يغرم القلوب ببعضها، فقط هذا ما يفعله الحب، لا ينظر لأي أمر آخر سوى المشاعر، العقل يفكر والقلب يختار من يحب، إذا أردت الحب فانظر لقلب من تحب.

إن نظرة الاهتمام تفضح عاشقها، فالمشاعر لا تخبأ إطلاقًا .. نظرة ثم ابتسامة ثم يدق القلب عند اللقاء، فالعين ترى والقلب يحب، والعين تحب، رأيت ما أحبه القلب، وانشغل به العقل، فكل منهم يكمل الآخر، تمسك بالحب الصادق إذا أتى، وإن لم يأتِ فانتظر حتى يدق القلب.

...

- ها عايزين تروحوا فين؟

- أي حتة يا محمد، اسأل مريم.

- عايزة تروحي فين يا مريم؟

- يلا نطلع على البحر، هوريكم حاجة هناك.

- ماشي لما نشوف آخرتها معاكي إيه.

وافق الجميع على رغبة مريم في الذهاب إلى البحر، حيث تحب الجلوس هناك منفردة تحكي له، لكن هذه المرة غير أي مرة سابقة تذهب فيها.

إنها مع صحبة من أحبته، إنه الحب الذي يحدث في الأفلام فقط ولكن في الحقيقة غير موجود، خداع وكذب يعيش فيه كثير من الشباب، حب للتسلية فقط .. أيام معدودة ثم يتغير الحبيب، هذا أصبح حال الحب الحديث.

- أنتم عارفين أنا بحب آجي هنا كتير وأقعد قدام البحر، وأفضل باصة عليه كده من غير ما أتكلم ... بحس إنه بيعرف أنا عايزة أقول إيه، برتاح هنا أوي .. بنسى كل حاجة مع البحر، برجع تاني طفلة من غير أي هموم، ولا وجع قلب .. بحس إن الحياة حلوة أوي، بفرح وبتكون الدنيا بتضحك زي البحر كده.

كان حديث مريم عنوانه الفرحة والسعادة المصحوبة ببهجة أتت إلى قلبها من حيث لا تدري ... إنه أسعد يوم في حياتها، فقط عندما اجتمعت بوائل، ولدت من جديد بعدما ضاق بها الزمن. إنها السعادة التي أتت بعد ضيق.

- عندك حق يا مريم .. البحر جميل ويخلي الواحد ينسى نفسه، بيريح الواحد بس غدار، ممكن فجأة يقلب على الواحد.

ظل الشباب الأربعة مصطفين أمام البحر، ناظرين إليه، وحديثم موجه له دون أن ينظر أحد منهم للآخر.

- الحكاية مش بحر ولا مكان زي ما أنتم فاهمين ... المهم إنك تلاقي الشخص المناسب اللي تقدر تتكلم معاه، الشخص اللي يفهمك من سكاتك قبل كلامك، من نظرة عينك، من تعبير وشك، من صوتك اللي بيتغيَّر، الضحكة اللي بتداري حاجات كتير جواها. هو ده الشخص اللي ترتاح معاه، مش المكان بس اللي هيقدر يساعدكم إنكم تغيروا حياتكم للأفضل، لازم يكون في حد معاك عشان تتغيروا، عشان الحد ده مش لازم يكون حبيب ... ممكن صاحب أو أخ .. فهمتوا بقى إن كل واحد فينا لازم يلاقي نفسه مع شخص معين.

كلام حكيم من محمد ردًا على كلام وائل ومريم.

- كلامك صح جدًا يا محمد .. الحياة مش وحدة، ونكابر ونقول أنا لوحدي أحسن من كل حاجة، وإن أقرب حد ليا مجرد جماد مش شخص. لو الواحد بقى لوحده دايمًا مش هيلاقي حد يقف جنبه ويساعده في شدته .. كلنا بنمر بعقبات وصعاب كتير، وساعات بنختار الوحدة عشان نبعد عن كل حاجة، بس بيجي وقت بنحتاج حد يقف معانا ويسأل علينا.

مجرد الإحساس إن في حد يهمك وتهمه، حد تجري عليه أول ما يحتاجلك، ولما تحتاج تفك عن نفسك معاه تفرحه ويفرحك، يقولك متخافش أنا معاك، يقومك لما تقع، يفوقك لما تتوه جوه الدنيا وتنسى نفسك. الحياة حلوة وجميلة بس احنا اللي شايلين الهم دايمًا وبنزعل من أقل حاجة، وبنفرح بصعوبة. الحياة رحلة قصيرة لازم نستمتع بيها وبكل لحظة فيها، الحياة حب واحترام.

حديث سارة كان لائقًا جدًا ليتخلوا عن الأوهام التي تدور في أذهانهم بأن الحياة بدون أحد أفضل.

في لحظة جنون نظر الأصدقاء إلى بعضهم بعد سكوت وهدوء، ثم جروا متجهين إلى البحر والأحذية تتطاير من أرجلهم.

نزلوا إلى البحر، يرش كل منهم الآخر بالمياه، أطفالًا يمرحون معًا، إنها البهجة التي غمرتهم عند اجتماعهم. عادت ذكريات الطفولة، حيث اللعب والمرح دون أية ضغوط، ورغم اندهاش الناس من أفعالهم فإنهم لم يهتموا بأي ردود أفعال تجاههم.

...

زادت الروح المعنوية لهم، إنها أجمل اللحظات التي مرت عليهم في حياتهم، فهم دون عناء يستمتعون بكل لحظة تمر عليهم من جنون دون أن يهتموا إلى أحد، الأهم أنهم سعداء.

مر عليهم الوقت أسرع من لمح البصر، كعادة الأوقات السعيدة تمر مسرعة في لحظة.

غربت حرارة الشمس ودخل الليل بقمره اللامع في السماء وجوه الرطب، هناك قمر في الأعلى وفي الأسفل على الأرض أربعة أقمار ساطعين بين الناس، أنهوا يومهم الجميل بعد أن جفت ملابسهم، مغادرين المكان على موعد للقاء آخر يجمعهم، ليكونوا معًا ويكون أفضل من اليوم.

ذهبت سارة مع مريم إلى بيتها، ليكملوا يومهم معًا، وعاد محمد إلى بيته، بينما وائل بدّل ملابسه ذاهبًا إلى العمل.

انتهى الوقت الجميل، وبدأ وائل العمل الجاد مجدداً، لكنه هذه المرة كان يعمل بحماس وجدية حتى يحقق ما يتمناه من أحلام وأماني. إن قانون الحياة "اسعد يوم واعمل بمقابل هذا اليوم شقاء، حيث يكون ثمن هذه السعادة".

عندما دخل إلى المحل الذي يعمل به، قابل ترحيبًا من صاحب المحل الذي طال غيابه عنه بسبب الحادثة، وطلب منه أن يسافر في الصباح إلى القنطرة حيث يأتي بالبضائع الجديدة له.

❁❁

- متعرفيش يا سارة أنا النهاردة فرحانة إزاي ... بجد أجمل يوم في حياتي.

- آه، ما أنتي قابلتي اللي خد عقلك وروحك كمان.

- بس أنتي يا سارة ومحمد لايقين على بعض هههههههه.

- لا خالص، على فكرة أنتي فهمتيني غلط.

- والله! غلط .. طيب فهميني الصح.

...

اتصلت غادة بمحمد لتعبر عن استيائها منه، وأنها انتظرته ليعاود الاتصال بها عندما أغلق الخط، ولم يعيد الاتصال بها مرة أخرى. عاتبته لأنها انتظرت طويلًا.

- مساء الخير يا بيه، ينفع أستناك ومتكلمنيش .. ماشي يا محمد كل مرة كده، خليك براحتك.

هجوم عنيف من غادة في بداية المكالمة ... تشبه القط الذي ينقض على فريسته.

- إيه يا بنتي، إهدي إهدي بس، أنتي داخلة سخنة عليا ليه.

- أنت عصبتني لما قلت هكلمك تاني ومتصلتش.

- معلش كنت قاعد مع وائل.

- طمنني عليه، هو عامل إيه؟

- الحمد لله، بقى كويس والنفسية مرتاحة.

- احكيلي عملت إيه النهارده؟ شكلك عندك جديد.

- بصي يا ستي، أنتي عارفة إن وائل عمل حادثة.

- آه وبعدين ...

- المهم إنه كان محتاج حد يتبرعله بالدم، ومش كنا لاقيين فصيلته فلاقينا بنوتة كده اتبرعتله، والحمد لله اليوم عدى على خير وبقى كويس وجه عندي البيت.

- ها وبعدين ..

...

كان وائل نشيطًا جدًا في عمله لديه طاقة هائلة غير عادية، تبدَّل تمامًا وأصبح خارقًا للعادة، كثير الحركة في المكان وأصبح أسلوبه مميزًا مع الزبائن، الزبون الذي يدخل يشتري قطعة ويدفعه أسلوبه إلى شراء المحل كاملًا، وعندما لاحظ المدير هذا النشاط غير المسبوق، وما أدخله وائل من دخل وربح كافأه حتى يحفزه على الاجتهاد المستمر.

...

- يا ابني ادخل في المهم.

- ماشي .. المهم بقى، لما روحنا الكلية الصبح واحنا ماشيين كالعادة وهو سرحان خبط في بنت زي القمر.

- وإيه الاندهاش في كده.

- الاندهاش بقى إنها البنت اللي اتبرعتله بالدم وكانت أصلًا شايفاه قبل كده والقدر جمعهم واتعرفنا على بعض هي وصاحبتها وخرجنا روحنا سيما.

قبل أن يذهبوا إلى البحر اقترح عليهم وائل أن يشاهدوا فيلم قبل الذهاب إلى البحر.

- إيه رأيكم يا جماعة في فيلم جامد في السينما تعالوا نروحه وبعد كده نروح البحر.

- ماشي يا وائل، وافقت مريم على الاقتراح.

ذهبوا إلى السينما ليشاهدوا فيلم هناك، وكانوا جالسين في آخر صف حيث يتمكنوا من المشاهدة جيدًا.

- أيوه بقى قول كده من بدري، وطبعًا أنت ظبطت صاحبتها؟

- أنتي عارفة أخوكي مش بيضيع وقت هههههههههه.

- هههههههههه ماشي يا دنجوان، الله يسهله يا عم، أهم حاجة أنكم قضيتوا يوم جميل.

- آه الحمد لله.

...

رن هاتف مريم رقم غريب يظهر على الشاشة، انتظرت قليلًا قبل أن تجيب، ضغطت زر الإجابة لتسمع صوتًا هادئًا يقول لها:

- سامحيني، كنت غلطان لما بعدت عنك متزعليش مني.

استغربت من هذا المتصل الذي يعرفها ويعتذر لها .. عن ماذا يعتذر؟! لم تميز صوت المتكلم.

- مين حضرتك؟

- نسيتي صوتي ...

- مين؟

- أنا مينا.

صدمة حلت بها عندما سمعت الاسم، زادت دقات قلبها وزاد العرق الذي ينصب من وجهها.

صمتت والدموع تنزل من عينيها عندما تذكرت جرحها، مينا .. ذلك الفتى الذي أحبته من ثلاثة أعوام، لم يكتفِ بما فعله في الماضي، بل عاد ليحزنها بعد أن بقيت في حالة من السعادة.

غضبت جدًا من هذه المكالمة التي لم تستعد لها منذ زمن.

لم ترد عليه وأغلقت الهاتف في وجهه وأصابتها حالة من البكاء.

- إيه يا بنتي، في إيه مين اللي كلمك؟

لم ترد على سارة مستمرة في البكاء.

- طيب إهدي .. بتعيطي ليه.

بعد دقائق هدأت.

- ده مينا يا سارة، جاي يعتذر دلوقتي.

- وإيه اللي يخليكي تعيطي على الحيوان ده.

- أصلي افتكرت كل حاجة حصلت.

- اهدي بقى، النهارده كان يوم جميل .. متوحشيهوش في آخره.

- خلاص يا سارة، أنا هديت أهو.

رن هاتفها مجددًا.

- الحقي يا سارة، ده بيتصل تاني.

- ما ترديش وكبري دماغك.

لم ترد في أول مرة، فعاود الاتصال مرة أخرى.

- أنا هرد، وأهزقه.

أجابت مريم عليه:

- إيه .. عايز إيه؟!

- أنا قلت أطمن عليكي .. بس أنا آسف لو ضايقتك!

من انفعالها لم تميز الصوت مجددًا هذه المرة، وائل يطمئن عليها بعد أن تركها. أخذت أنفاسًا طويلة بعد تمهل في الرد، عندما لاحظت فرق الصوت:

- مين معايا؟

- أنا وائل.

احمرَّ وجهها من الإحراج الذي وضعت فيه بعد تسرعها في الرد عليه.

- بجد أنا آسفة، أصل كان في حد اتصل ضايقني.

- ولا يهمك، أنا قلت أطمن عليكي.

- أنا الحمد لله، وأنت عامل إيه؟

- تمام .. لسه خارج من الشغل.

- هتروَّح ولا هتروح في حتة.

- لا هروَّح على طول.

- طيب خد بالك من نفسك.

- حاضر بس أنتي متزعليش من نفسك.

دق قلبها فرحًا من مكالمة وائل، وعاد الدم إلى عروقها بعد أن جفت من المكالمة الأولى. هذا حال الحياة، متقلبة ليست ثابتة على حال، لحظة سعادة والأخرى حزينة وبعضها مزعجة، إذا فرحت تحزن، وإذا حزنت تفرح في تساوي بين الحالتين.

يومًا آخر يمر من العمر، ويفوت أسرع من الريح عليهم. كان به كل حالاته، كان به السعادة والحزن ومر بكلتا الحالتين.

ينتظرون الغد ليمر مثل البارحة كلها أيام تفوت من العمر، وهناك أمل في الغد ليكون أفضل وتحقق الأماني وإذا لم تحقق ينتظرون اليوم الذي يحققون ما يتمنوه من أحلام.

هناك بعض الناس يظنون أنهم سيحققون ما يريدون، وآخرون يتركونها كما هي، تفعل ما تفعل بهم، ويسير بعضهم، لكن لا يتحقق غير المكتوب لنا. وما يريده الله لنا غالبًا ما نريد، لكن يأتي الله لنا الحزن حتى نسعد بعدها ونشكره.

...

يوم جديد آخر يبدأ وتبدأ معه حكاية بما فيها من أحداث متوقعة، والذي يطرأ فجأة علينا دون علم مسبق.

ذهب في صباح اليوم إلى القنطرة حيث رتب الملابس الجديدة للمحل بذوقه الرفيع والراقي الذي جعله يتميز عن غيره من زملائه. لقد أصبح رسامًا يبدع في لوحاته المرسومة على الأقمشة التي سيختارها، ويبهر بها صاحب المحل.

ركب القطار المتجه إلى بورسعيد في الساعة الخامسة صباحًا حتى ينجز ما كُلف به من عمل، وحتى لا يتأخر. هناك تحرك القطار وبدأ حكاية أخرى تحدث في القطار المزدحم، جلس بجوار الشباك، وكان أمامه ولد وبنت ولا أحد يجلس بجانبه،

مستمتع بالنظر إلى النافذة المفتوحة، ينظر إلى الطريق ويفكر في يومه، كيف سيقضيه هناك.

تحرك القطار في الساعة الخامسة والربع من المحطة وبدأت الرحلة.

...

- على فكرة .. أنت لازم تيجي وتقابل بابا، احنا مع بعض بقالنا سنة.

- حاضر يا بنتي، كلها شهر ولا اتنين وآجي أكون كملت بقية تمن الشبكة.

- أيوه كده .. هو أنا لازم أوريك العين الحمرا ..!

- هههههههههههه عسل العين دي.

- هههههههههه طبعًا .. مش أنا حبيبتك وهكون مراتك.

- طبعًا يا قلبي.

...

- هنعمل إيه في الفلوس اللي علينا دي؟!

- والله مش عارف يا أبو خالد.

- بس لقيتها، احنا نبيع حتة الأرض اللي حدانا في البلد ونسد الفلوس اللي علينا بيها.

- والله فكرة.

لم ينتبه ولم يركز في الحديث الذي يدور من حوله داخل القطار، فقط ينظر ويتأمل في الطريق وعقله منشغل بالتفكير في مريم، وكيف ستكون الأيام بينهم، هل سيكتمل الحب أو سينتهي؟ على هذا الحال طوال الطريق، منشغل بالتفكير ولا يتوقف عقله أبدًا.

...

- صباح الجمال والعسل، كل ده نوم يا سارة .. إيه بقالك سنة منمتيش!

- أنا صاحية من الساعة 7 على فكرة، صباح الخير يا مريم .. هي الساعة كام؟

تتحدث وهي مغمضة العين، لم تفتح إلا بعض نظرات لمريم وأكملت غفلتها.

- أنتي لسه هتنامي! هتتأخر على الكلية.

جاءت مريم برشاش المياه، وأغرقت وجهها حتى تفيق من غيبوبة نومها.

- خلاص يا مريم، هقوم أهو.

قامت مسرعة من على السرير حتى تستعد للذهاب إلى الكلية.

...

ذهب محمد هذا اليوم بمفرده بدون صديقه الذي سافر صباح اليوم.

كان جالسًا في كافتيريا الجامعة، يتناول فطوره بعد أن طلبه من عم أحمد، جاءت من خلف ظهره يد التفت على أعينه، فأنزل تلك اليد الناعمة عن عينه ليجدها غادة صديقته الأنتيم.

- إيه يا ابني عامل إيه؟

- الحمد لله .. أنتي عاملة إيه؟

- تمام .. أومال فين وائل، مش معاك ليه؟

- ده سافر النهارده في شغل.

...

وما زال القطار يسير بسرعة شديدة ولا يتوقف حتى يصل في موعده.

هكذا هي الحياة أيضًا، تسير ولا تتوقف، ومعها العمر.

- شكلك والمرة دي غصب عنك مش بمزاجك.

- مين قالك كده؟

- عقلك اللي شاغلاه مريم، أنت من ساعة لما القطار اتحرك وأنت بتفكر فيها.

- بس يا بت، مش أنتي قلتي هتبعدي.

- أعمل إيه بس، وحشتني .. قلت أطمن عليك .. بلاش!

- اطمني يا أختي .. أنا كويس.

- التذكرة يا أستاذ.

- حاضر.

أخرج التذكرة من جيبه وأعطاها للكمسري.

وصلت الصديقتان إلى الكلية بعد أن أفاقت سارة من نومها العميق كعادتها، وصلوا إلى الكافتيريا ليجدوا محمد جالسًا مع غادة، ليقطعوا حديثه مع غادة:

- إزيك يا محمد عامل إيه؟

- الحمد لله.

- اقعدوا أعرفكم .. دي غادة صاحبتي الأنتيم.

- غادة .. دي سارة ودي مريم.

تعرفوا الثلاثة على بعضهم، وبدأت مريم في السؤال عن وائل.

- ما هو سافر يا مريم في شغل، ومش عارف هيرجع إمتى.

...

وصل وائل إلى القنطرة بعد أن انتهى الطريق ولم يشعر بطول المسافة لانشغاله بالتفكير بمريم الذي تعلق قلبه بها بعد أن كان منغلقًا على نفسه، وعند نزوله من القطار رن هاتفه ليجد مريم تطمئن عليه وعلى عمله، فأجابها بأنه سيحاول أن يسرع ولا يتأخر في العودة إلى الأسكندرية ويقابلها عند وصوله.

...

ذهب محمد والثلاث بنات معًا إلى المحاضرة بعد أن تناولوا الفطور معًا، ثم بدأت المحاضرة التي تجمعهم في نفس القسم (قسم التاريخ بكلية الآداب) تلك المحاضرة التي ملأها الشرح الممزوج بثرثرة الطلاب.

...

بدأ وائل في التجوال بين المحلات، يدخل هذا ويطلع من ذلك، يدخل هنا وهنا ولم يلفت نظره أي شيء حتى استقر أخيرًا على محلين بجوار بعضهم، كانا الأفضل بين الجميع، يوجد بهم ملابس غاية في الجمال والروعة.

بعد البحث الطويل والفصال اشترى البضاعة اللازمة، هذه المرة سيبهر المدير مجددًا لأن ما اشتراه لا يوجد مثله.

بعد الانتهاء ذهب إلى الإسماعيلية ليأخذ من هناك سيارة إلى الأسكندرية، لأن موعد القطار سيكون في المساء.

...

خرجوا من تلك المحاضرة التي لم يستفيدوا منها بشيء غير الملل.

يوم طويل جدًا بين القطار والبحث عن أحسن الملابس والعودة ثانية في عناء الطريق الطويل بين القاهرة والأسكندرية وفي الجانب الآخر روتين الكلية والاستيقاظ مبكرًا، يريد البعض الراحة

حتى يجددوا نشاطهم مرة أخرى ويجري الدم في عروقهم حتى يستطيعوا أن يكملوا مهامهم الحياتية.

...

بعد تعب هذا الطريق الطويل وصل إلى الأسكندرية أخذ تاكسي من الموقف إلى المحل معه البضائع، وعندما وصل وجد صاحب المحل في انتظاره لكي يرى ما أتى به من بضائع، وعند نظره إليها تعجب من ذلك الشاب الطموح الذي يعمل بجد وأعجب بما أتى به، وأعطاه مكافأة على تعبه، وأخذ باقي اليوم إجازة كي يستريح من السفر، وكالعادة يستمر في إبهاره بعمله.

غادر وائل المحل ليرتاح قبل موعده مع مريم كما وعدها عندما اتصلت لتطمئن عليه عندما وصل إلى القنطرة.

...

في الساعة التاسعة ذهب إلى الكافيه الذي يقع أمام البحر مباشرةً حتى يرى جمال البحر والقمر معًا .. وصلت مريم بعده بعشر دقائق.

عندما قابلها قام بتقبيل يدها بعد أن جلست أمامه على الطاولة، فأتى بالهدية من جيب البنطلون .. فاجأها بها.

كانت سلسلة مكتوب عليها اسمها، مصنوعة من الذهب .. قام بتلبيسها السلسلة حتى تدلت من صدرها، أعجب بها كثيرًا منذ أن رآها مع محمد، أصبحت السعادة تجري في قلوبهم.

- عارفة يا مريم، أنتي بقيتي كل حاجة حلوة في وقت قصير جدًا مش عارف ده حصل إزاي .. بحب أشوفك كل يوم، بس خايف الأيام تخسرنا بعض زي ما خسرتني عائلتي كلها حتى جدتي اللي كانت بترسم في شوية أمل ماتت وبقيت لوحدي من غير أي حد، خايف تبعدي أنتي كمان.

- متخافش .. أنت بقيت حياتي كلها، عوضتني عن كل لحظة في حياتي، بقيت جزء مني، معرفش أعيش من غيرك.

...

- القمر غايب عني ليه النهارده، هو زعلان؟

أول كلام ينطق به محمد بعد أن اتصل بسارة تلك الفتاة طويلة القامة صاحبة العيون السوداء، ذات الحجاب الذي يزين وجهها الطفولي.

- لا مش زعلانة، قلت أسيبك مع غادة.

- يا بنتي غادة دي صاحبتي مش أكتر .. يعني أنتيمتي وبس، متفهميش غلط.

- ماشي يا محمد .. أنت بتعمل إيه؟

- و لا حاجة، بفكر أنزل أتمشى، متيجي ننزل نتمشى سوا.

- مش عارفة .. البت مريم سابتني ونزلت.

- متيجي نطب عليهم .. إيه رأيك؟

- قشدة .. نشوفهم بيعملوا إيه؟

...

- أكتر حاجة مخوفاني إن أهلك ميرضوش بيا عشان الموضوع ده مش مستحب عندكم، خايف أموت وأنا عايش، أنتي بقيتي أنا، كلك بيحبيني .. يعني لو محصلش نصيب وبعدنا هتاخدي قلبي معاكي وتسيبيني من غير روح.

إن الحب لا ينظر إلى دين، لكن نظرته في اتجاه القلب، غالبًا ما يجبرنا على اتخاذ قرارات صعبة حتى تستمر مع من تحب .. الحب عذاب، لكن لا نستطيع أن تحب بدون أن تذوق مرارته أولًا.

- مش مهم أهلي، المهم إني بحبك وعايزاك .. أنا عمري ما هسيبك حتى لو حصل إيه .. أنت هدية من السما ولا يمكن إني أبعد عنك.

امتلأت أعين تلك الفتاة الرقيقة بالدموع، دائمًا ما تسبقها دمعتها التي تعبر عن مشاعرها.

مسح وائل دموعها بيده محاولًا أن يقول لها بمجرد النظر أنه سيفعل المستحيل لأجلها.

لقد أتى الجارسون ببوكيه الورد من النوع الذي تحبه .. محاط به الشيكولاتة، مما جعلها تبتسم لما يفعله وائل لمحاولة إسعادها، دخلت السعادة مرة أخرى إلى قلبها وأعينها يزينها بريقها.

احتضنت يد وائل بيد مريم، حضن صغير .. كان يمسكها بشدة تدل على القرب بينهم، كان إحساسها لا يوصف، كأنها أصبحت طفلة تمسك بيد والدها حتى تشعر معه بالأمان.

...

نزلت سارة مع محمد حتى يلتقوا بمريم ووائل دون أن يخبروهم أنهم سيأتون إليهم بعد أن أخبرت مريم سارة بمكانها قبل نزولها.

- لا مش ممكن يا سارة.

- في إيه!!

- معقول اللي شايفه ده؟!

- شايف إيه؟

- أنتي حلوة أوي النهارده .. يخربيت جمالك قمر يا ناس!

- بس يا واد بتكثف.

احمر وجهها خجلًا من مغازلة محمد لها، إذ لم تعتد أن يغازلها أحمد من قبل، وجهها يشبه الفراولة الحمراء. جميلة تلك الفتاة عندما يحمر وجهها خجلًا.

- لا بجد أنتي جميلة أوي.

- أنت اللي عينك حلوة بس، وده ميمنعش إني مش زي أي حد.

- إيه يا بت التناكة دي .. مسم، ده أنا بجامل بس.

- لا والله! ماشي يا واد.

- عايزين نطب عليهم بسرعة.

- يلا بينا.

- أنا مبسوط إني عرفتك والله يا سارة.

- بجد كانت صدفة جميلة أوي.

- وأنا ارتحتلك بغباء.

- و أنا كمان ارتحتلك بس مش أوي يعني ...

- هههههههههههه لا والله.

روح الدعابة لا تغيب عنهم، محبين للمزاح دائمًا، إذا اجتمعوا في أي مكان يملؤنه بالبهجة والسعادة، فإن السعادة ليست مالًا، فقد تكون على هيئة أصدقاء.

...

- أنا عايزة أقولك على حاجة.

- قولي اللي أنتي عايزاه.

- أنا كنت مرتبطة من فترة بواحد اسمه مينا، وحصلت مشاكل وطلع ندل وسبته عشان مكانش كويس واكتشفت إنه كان بيلعب بيا.

- طب واحدة واحدة كده، واحكيلي كل حاجة حصلت.

كان أول لقاء لمريم بمينا عندما ذهبت إلى منزل صديقتها كريستين، حيث مرضت فذهبت لتطمئن عليها. إنه أخوها الأكبر منها بسنة، كان وسيمًا يلفت نظر أي فتاة تراه، وكان مستغلًا لوسامته التي تتيح له التعرف على كثير من الفتيات، كان يعلقهن به، وعندما رأته مريم خدعتها وسامته الساحرة مثلها مثل باقي الفتيات.

- ازيك يا كريستين .. عاملة إيه؟

- الحمد لله يا مريم.

- أنا سألت عليكي قالوا إنك تعبانة.

- الحمد لله أنا بقيت كويسة، أنتي ليه تعبتي نفسك.

- أنتي أختي، متقوليش كده.

جلست مريم عند صديقتها بعض الوقت لتطمئن على صحتها، وبعد فترة من الحديث بينهم استأذنت لتذهب إلى البيت.

لم توافق كريستين على أن تذهب بمفردها في هذا الوقت من الليل واقترحت أن يوصلها مينا.

بدأت الحكاية عندما تعرف مينا على مريم وأخذ يتحدث معها عن نفسه وطموحاته المزيفة، تلك الاسطوانة التي يجذب بها أي شخص خاصةً أن لديه لباقة في الحديث تثير إعجاب الكثير.

ببعض من الغزل والمداعبة البسيطة استطاع أن يعلق به مريم، وهي لا تدري أنه يخدعها، ويريد أن يقضي بعض الوقت الجميل معها، وبعد ذلك يتركها مثل السابقين.

أوصل مريم إلى البيت مع أخذ وعد منها أن يكون بينهم لقاء يجمعهم حتى يتمكن أن يعرفها جيدًا.

- ميرسي على التوصيلة.

- العفو هشوفك بكرا؟

- ماشي .. هستناك تكلمني.

- عيوني يا قمري.

لم يضع اعتبارًا لكونها صديقة أخته، وأنه من الممكن أن يحدث معها مثلما يفعل مع الفتيات.

صعدت إلى البيت وصعد مينا معها في عقلها الذي استطاع أن يشغله بكلامه الجذاب. تركها وذهب ليعود لها في الغد ليسهروا معًا.

في اليوم التالي اتصل بها حتى تستعد للقاء، وقامت للاستعداد بأفضل الملابس والبرفان لديها، وذهبت معه في جولة بسيارته.

- تعرفي إنك أجمل بنت شافتها عيني.

خجلت من كلامه لها.

- ها .. شكرا.

لا تدري ما تقوله له من خجلها. أمسك يدها وقبّلها قبلة حارة.

- مش عارف أنتي سحرتيني ولا إيه؟ أنا مش ساعة لما شوفتك وأنا مش ببطل تفكير فيكي، صورتك قدامي في كل مكان.

- أنت كلامك حلو أوي .. وده اللي عاجبني فيك وخلاني أخرج معاك النهارده.

- مريم أنا بحبك.

نظرت مريم إلى مينا نظرة دهشة .. بينما تحدث نفسها:

- إزاي الشاب الوسيم ده يحبني بالسرعة دي من أول مرة شافني فيها، واشمعنى أنا.

ليقاطع مينا شرودها:

- مستغربة طبعا إني شوفتك امبارح وحبيتك بسرعة، أنا معرفش إزاي ده حصل مع إن في بنات كتير أوي بيحبوني، وأنا محبيتش حد غير لما شوفتك.

استمرت هذه العلاقة في التطور يوم بعد يوم، بينما يزيد تعلق مريم به كل يوم أكثر من اليوم السابق، أحبت حياتها، تراه كل يوم وتكلمه كل دقيقة ولا تتوقف عن الحديث معه .. لقد احتل جزءًا كبيرًا في حياتها .. إنه الأكسجين الذي تتنفسه!

دارت الأيام ومضت بحلوها ومرها عليهم وفي يوم اتصلت مريم به حتى تراه لأنه غاب عنها لأسبوع ولم يقل لها أي سبب عن غيابه.

اتصلت به وقال لها أنه مريض، لا يستطيع النزول لرؤيتها.

حزنت مريم لعدم رؤيته، فنزلت للمشي قليلًا لتشم الهواء على الشاطئ، وعندما نزلت إلى الشارع صعقت لما رأته من منظر.

إنه يسير بجانب فتاة ممسكًا يدها بين الناس، لم يعرف أن هذه المرة سينكشف أمره.

ذهبت مريم إليه بكل هدوء مسيطرة على أعصابها وبداخلها غضب شديد تتحكم به. ظلت مريم تمشي خلفهم لدقائق حتى توقفوا فنادت عليه، استدار ليتفاجأ بأنها مريم .. إحدى ضحاياه.

- ألف سلامة عليك .. مش تقول إن التعب حلو كده.

- مريم!!

- بنت خالتك دي صح؟

- استني هفهمك.

لتقاطعه الفتاة التي بصحبته:

- مين دي يا مينا؟؟

- أقول لك على حاجة يا مينا ... أنا مبسوطة إني عرفتك على حقيقتك.

- هفهمك يا مريم.

لم تعطه فرصة للحديث معها وتبرير موقفه الذي وضع نفسه فيه وبكل ما لديها من قوة ضربته على وجهه أمام الناس، مما لفت أنظارهم إليه في دهشة شديدة، كيف استطاعت تلك الفتاة أن تضربه.

- أنت زبالة أوي ومش عايزة أشوفك تاني.

ذهبت مريم وهو واضع يده على خده وقلبها يمتلئ بحزن يعصر قلبها من الجرح الذي سببه مينا، بمجرد أنه جعلها وسيلة تسلية لبعض الوقت.

انتهت تلك العلاقة بفراقه وفراق أخته كي لا تتذكره مرة أخرى، وأصبحت مريم لا تثق في أي أحد ولا تريد الحب مرة أخرى، حتى مرت السنوات ورأت وائل الذي غيَّر فكرتها عن الحب.

- شوفت بقى، أنا كنت خايفة إني أتعلق ليه بيك وفكرت كتير في الموضوع ده، بس اوعى تكون زي مينا وتلعب بيا ...

أنا بجد هموت لو عملت كده، أنا ما صدقت إني لقيتك، اوعى تسيبني .. أنا بحبك.

دخلت عليهم سارة ومحمد ليجدوا الدموع في أعين كل منهم، لقد تذكر وائل ما يؤلمه في حياته، وكأن الدموع تتساقط عند دخولهم فقط.

ابتسمت مريم عندما نظرت في أعين وائل، ورأت تمسكه بها بمجرد نظرة طمأنتها أنها أحبت رجلًا جديرًا بالثقة.

دائمًا سارة ومحمد يقطعان تلك الخلوة الرومانسية .. إنهم مفرقا اللحظات السعيدة.

- احنا جينا نشوفكم، أصلكم وحشتونا أوي فقلنا نيجي.

كان الحديث مزدوجًا بين محمد وسارة.

- لا والله متشوفش وحش يا ابني منك ليها.

- الله الله .. ورد وهدية كمان، والعة معاكي على الآخر.

- اخرسي يا بت.

بقول لك إيه يا وائل، يلا بينا الناموس كتير أوي في المكان.

- والله احنا ناموس! ماشي يا مريم.

- لا يا حبيبتي، بنهزر .. اقعدوا معانا بقى.

- لا احنا ننزل نتمشى يا وائل أحسن.

- ماشي يا محمد.

ذهبوا الأربعة إلى مكان آخر ليمشوا فيه، حيث الهواء والسماء الصافية، هؤلاء الأصدقاء كل واحد فيهم يكمل الآخر، تركيبة من نوع آخر، كل منهم يريد أن يسعد الآخر، تشع من جسدهم طاقة ممزوجة بالحب والراحة النفسية تميزهم وسط الآخرين.

الحب يشع من قلوبهم على وجههم المشرق، دائمًا لا توجد على أحد غيرهم إنه الحب الصادق.

...

- إيه يا وائل ... شوفت أنت نفسيتك ارتاحت عن الأول إزاي، وفكرتك عن الحب اتغيرت، حبيت نفسك وحبيت اللي حواليك، شوفت إن السعادة والفرحة بقت باينة على وشك .. أنا مبسوطة إنك قدرت تغير حياتك زي ما أنا شايفاك.

- البركة فيكي يا حبيبتي، لولاكي ووقفتك جانبي أنا كان زماني ضيعت واتدمرت نفسيًا، أنا بحبك يا أغلى حاجة في حياتي، وبا رب تكوني مبسوطة في حياتك.

- أنا مبسوطة عشان اطمنت عليك.

❁❁

الليل الطويل يستر العشاق في عشقهم، وتدق القلوب بنبضات الحب المتيم بالغزل تحت ضوء القمر الساطع الذي يزين السماء الصافية، وبطيب الهواء الذي يذوب فيه العشاق ليلًا بعشقهم .. ما أجمل الحب الذي ينبع من داخل القلب بدون أي أكاذيب.

...

مرت الأيام في حب وعزل دون أي عواقب، كل منهم يسعى في المحافظة على الآخر بصدق المشاعر والأحاسيس .. حياتهم بسيطة متسامحة خالية من المتاعب بعد عناء للمحافظة عليها كما هي حتى تدوم لسنوات، إن الحياة التي تبنى على حب من داخل القلب وصدق تستمر طويلًا ولا تنتهي حتى يشاء القدر.

اقتربت نهاية البداية التي وضعتها في مخيلتي حتى تكون كما أريد، وليس كما تريد الحياة أن أسير معها. فلا يوجد أي شيء يفرض نفسه على رغبتي لأنها ملكي وليست ملكًا لأحد.

هذه هي الحياة كما أريد أنا.

تمر الأيام مثل عقارب الساعة في دائرة لا تعرف متى ستبدأ، مرت مسرعة في ثوانٍ تُعد على الأصابع.

أتت نهاية العام الدراسي لآخر سنة لهم في الجامعة، لتبدأ مدرسة الحياة في تعليمهم دروسها بين العمل والحياة العائلية مستقبلًا، والتفكير في المستقبل وما ستكون عليه الحياة.

انتهت الامتحانات وانتهت الدراسة الحكومية للأبد، وظهرت النتيجة مع ظهور القلق على وجوههم بعد اضطراب دام أسبوع قبل تعليق النتيجة ليعلموا أنهم حصلوا على امتياز مع مرتبة الشرف.

فرحة ما بعدها فرحة أحيتهم، حيث تخرجوا بتفوق باهر للغاية، حقًا إنهم مثال للأصدقاء المجتهدين، كرمتهم كلية الآداب على تفوقهم هذا في حفل التخرج.

طلب العميد من وائل أن يقول كلمة على المنصة، فصعد إليها بعد أن كان جالسًا بجوار مريم، قام وأخذ أنفاسًا عميقة قبل أن يتحدث، حيث يرتب أفكاره، بينما الطلاب جالسون ليستمعوا إليه في صمت جم ليتمكن من الحديث.

- أحب أشكر العميد على هذا الحفل الرائع الذي أكرم فيه أنا وزملائي، إن هذا التفوق يرجع إلى تحفيزه لنا وإلى أصدقائي الرائعين، وأحب أن أوجه خالص الشكر لصديقتي مريم على تعبها معنا حتى أصبحنا هنا .. نكرم من سيادتكم.

أخذ هذا الحديث الرائع من وائل إعجاب الطلاب، وفجأة قال وائل:

- تتجوزيني يا مريم.

اندهشت مريم من كلام وائل، وطلبها للزواج أمام الكلية بأكملها، لم تتكلم مريم في هذا الموقف، لأنها أحرجت من هذا الطلب، الفرحة ملكت قلبها عندما سمعت هذه الجملة أمام الجميع.

نزل وائل إلى مريم ووقف الطلاب معًا ينظرون لهم، وعندما نزل إليها وائل جلس على نصف قدمه وأخرج من جيبه خاتمًا ذهبيًا وألبسه لها في يدها وقبَّلها وقالها مرة أخرى : تتجوزيني، فأجابت عليه بالموافقة، أخذها في حضنه ورفعها من على الأرض ولف بها مع تصفيق الحضور في الحفل .. الفرحة أصبحت عارمة هنا، فبكت مريم من فرحتها.

انتهى الحفل وذهب وائل إلى بيت مريم حتى يطلبها من أهلها، وكان متخوفًا من أن يرفض من قبل أهلها.

عندما دخل البيت فتح له والد مريم الذي كان في انتظاره، قابله بابتسامة وسمح له بالدخول وأن يجلس في الصالة التي بها أربع كراسٍ، وبينهم طاولة، وعلى الحائط صورة لعائلة مريم.

جلس محمد ووائل في المنتصف بين والد ووالدة مريم.

همس وائل في أذن محمد قائلًا أنه متخوف قليلًا اتجاه هذه الخطبة، فطمأنه وربَّت على قدميه بيده.

بدأ الحديث في التعارف على وائل ومحمد وعلى طموحاتهم المستقبلية، وأخذ وائل يتحدث وقلبه يدق خوفًا، كان الحديث في إقناع والدها بالموافقة على الزواج مع الاختلاف في الدين.

- بص يا وائل يا ابني، أنت عارف إنها مش من دينك .. إزاي فكرت إنك تتجوزها.

بدأ حديثه وهو جالس، وظهره مسنود إلى الخلف، وأصابعه متشابكة في بعضها، الأصبع الكبير يدور حول الآخر.

تقدَّم وائل إلى أول الكرسي بعد أن كان جالسًا وظهره للوراء.

- أنا مبصيتش لدينها، أنا بصيت إنها إنسانة وليها مشاعر وحيبتها عشان قلبها، ومليش أي علاقة بدينها، لأنه ليها، وأنا مليش أتدخل فيه، هي حرة في اختيار عقيدتها .. وعمر ما كان للحب علاقة بالدين أبدًا.

- بس احنا عندنا مش مستحب إنها تتزوج بره دينها.

- بس هو مش حرام يا عمي إنه مسلم يتزوج قبطية.

- أنت عندك حق .. بس مش زيكم .. آسف يا ابني كل شيء قسمة ونصيب.

لقد توقف قلب وائل بعد سماع تلك الكلمات، ففك رابطة عنقه التي تزين بدلته.

- يعني يا عمي حضرتك مش موافق.

- آسف يا ابني كل شيء قسمة ونصيب، احنا اتشرفنا بمعرفتك، أنت إنسان كويس وألف واحدة تتمناك.

رغرغت عين وائل بالدموع من هذا الموقف، وعدم انفتاحهم وتقبلهم العقلي للموضوع، لأنه لا يوجد ما يمنع ارتباطهم، عدم تقبله للموضوع بشكل عقلي هذا هو ما يمنع.

- اللي تشوفه يا عمي فرصة سعيدة اتشرفت بيكم، يالا يا محمد.

وقف محمد .. عدل القميص الذي يرتديه، وقام وائل بالاستئذان ليرحلوا.

كانت مريم تنظر لهم من باب غرفتها التي بجانب الصالون.

عندما وقف وائل عند باب الخروج نظر إلى مريم والدموع متجمدة في أعينه ... كانت النظرة مليئة بآلام كثيرة موجودة بداخله، فتح محمد الباب ليخرج أولًا وخلفه وائل، وأهل مريم واقفين يسلمون عليهم.

- متزعلش .. دي بداية النهاية ولسه الحياة قدامك .. تقدر تحب غيرها ثق في ربنا.

- أنا حاسة إنها من نصيبك، مريم بتحبك ومش هتستغنى عنك بسهولة كده.

- شوفتي أديني حبيت زي ما أنتي كنتي عايزه، وطرت في الهواء وجناحاتي اتكسرت.

- خلي عندك ثقة في ربنا.

- وائل .. متزعلش يا ابني، تاني .. دي قسمة ونصيب.

نداء من والد مريم على وائل وقد كان على خطوة من إغلاق الباب وراءه بعد أن انتهى كل شيء. استدار وائل إلى والد مريم حتى يذهب بعدها.

- بس مريم من نصيبك .. أنا بهزر معاك، أنت مبتهزرش!

تعجب وائل جدًا من هذا المزاح في اللحظة التي شعر فيها بالموت حيًا بفراق مريم.

- نعم!!!

أجاب وائل على كلام والد مريم.

- بقول موافق إنك تتجوز مريم عشان سعادتها معاك، ده كان مقلب من سارة، متزعلش يا جوز بنتي.

تعجب وائل من تصرف هذا الرجل الذي سمع كلام سارة، لأن هذه الأمور لا تتحمل المزاح مطلقًا.

خرجت سارة من المطبخ تحمل صينية الشربات الذي أحضرته بعد أن اتفق وائل مع مريم أن تخبر والدها أنه سيأتي في اليوم الذي يحتفلون به في الجامعة، وكان الوعد ليلًا حتى يستعد بعد الحفل.

- مقلب مقلب هههههههههههه.

- الله يخرب بيتك يا سارة، وقعتي قلبي في رجلي.

- طيب ادخلوا بقى عشان تشربوا الشربات.

- مبروك يا وائل، أنت عارف سارة مجنونة.

قالها محمد ضاحكًا على تصرفات سارة، وعندها بدأت سارة في توزيع الشربات والزغاريد تملأ البيت.

جلسوا ثانيةً حتى يتفقوا على موعد الفرح، واستقروا على أن يكون الشهر المقبل، ليستعدوا ويقوموا بشراء كل احتياجاتهم من أشياء لازمة للحياة الجديدة التي ستجمعهم في بيت واحد حتى تنتهي بهم الحياة.

❁❁

- شوفت يا عم، مش قولتلك عندى إحساس إنها من نصيبك .. افرح بقى وجهز نفسك للفرح ده كمان شهر عايزك أحلى عريس في الدنيا.

- متعرفيش أنا فرحان أد إيه .. بجد أنا طاير من الفرحة، وعايز أرقص وأغني .. مش عارف أعمل إيه، عايز أجري في الشارع وأقول إني بحبها وعايز الناس تعرف إني بحبها.

- اهدا بس كده، استنى يوم الفرح متستعجلش هانت كلها شهر.

- ربنا يخليكي ليا يا رب .. كان نفسي أفرح بيكي.

- المهم إني فرحت بيك.

...

الفرحة لا تسع مريم ووائل، تلك الفرحة التي أتت بعد الصدمة المضحكة التي حدثت معهم بمزاح غريب من سارة ووالد مريم. تأتي الفرحة بعد حزن، والفرج بعد ضيق. كن على ثقة أن مفرج الكروب ومؤلف القلوب بجانبك باستمرار، ولا تكن بخيلًا فتنسى ذكره.

عندما ترغب في شيء وتريد امتلاكه لا تتركه دون الحصول عليه، عليك أن تستمر في المحاولة حتى تصل إلى هدفك.

...

ذهب الأربعة معًا ليستعدوا لحفل الزفاف، وشراء الأغراض اللازمة لهم جميعًا من بدل وفساتين للفرح.

دخلوا أفخم المحلات، وكان الاختيار من وائل لأنه صاحب ذوق رفيع، يفهم جيدًا أنواع الملابس. بعد الانتهاء من اختيار الملابس ذهبوا لشراء أغراض البيت من أثاث وتحف.

...

- يااااااه .. أنا مش مصدقة إننا خلاص هنكون في بيت واحد.

- لا يا حبيبتي، خلاص حلمنا اتحقق وإن شاء الله هتكوني أسعد واحدة في الدنيا وأنتي معايا.

- ربنا يخليك ليا يا أنا.

- أنت هتكون أمير في قصر قلبي.

- لاا .. احنا مش هنقعد نسمع الكلام ده.

سارة دائمًا تتدخل لتقطع اللحظات الجميلة بينهم.

- هو أنتي على طول كده يا سارة تحشري نفسك بيننا.

- ده أساسي يا وائل، ده أنت حبيبي.

- تعرفي إني مش طايقك من ساعة الهزار التقيل بتاعك ده.

- خلاص بقى ما الراجل وافق وهتتجوز أنت والبت .. عقبالى يالللا رب.

- هجوزك محمد .. إيه رأيك؟

- هههههه أنت بتحلم يا صاحبي، هو أنا على آخر الزمن أتجوز واحدة مجنونة زي سارة تجنني.

- ليه يا محمد، دي كيوت .. أصلها تربيتي هههههههه.

- لا يا شيخة أنتي وهو، اللي أنا بفكر فيه لازم يكون مش عادي، ده لازم يكون برنس، محمد مين ده هههههههه.

- نفسي أشوف عريسك هيكون عامل إزاي عشان أطفشهولك.

- إخس عليك يا محمد .. ده أنا حبيبتك.

لا ينتهي المزاح والضحك بينهم مطلقًا .. الحزن لم يتمكن من الدخول بينهم، إنهم ملوك الضحك.

...

تم الانتهاء من شراء كل شيء بعد الاتفاق على استلام الأثاث قبل الفرح بأسبوع.

اتجهوا إلى البحر حيث يشعرون بالاسترخاء، ويستمتعون بالهدوء التام وتتجدد أفكارهم، جلسوا على الشاطئ بعد أن طلب محمد من أحد عمال الشاطئ أن يجهز لهم جلسة جميلة، ففرش لهم

قطعة من الحصير والشموع ملتفة حوله لتعطي لمسة رومانسية تعجب بها الفتيات.

محمد ذلك الشاب طويل القامة، صاحب البشرة القمحية الفاتحة، والعين السوداء، والنظارة التي لا يري إن خلعها.

- إيه رأيكم في الجو ده بقى ... دي حاجة فايف ستارز عشان العرسان.

- ربنا يخليك يا محمد، أنت بجد أبو الواجب ... تعرفوا يا بنات إنه أجدع واحد عرفته، وعمره ما اتخلى عني، وإنه واقف جانبي من ساعة ما جيت إسكندرية.

- إيه يا عم الكلام الكبير ده، أنت عارف إني بعزك .. متعملش فرق ما بيننا.

- ربنا يخليكم لبعض.

فقاطعت سارة مريم:

- أحلى حاجة إننا لسه مع بعض من الكلية، ولسه زي ما احنا متغيرناش.

الأمواج عالية تضارب بعضها في سباق، كل واحدة تتلو الأخرى، ينعكس عليها ضوء القمر الذي يظهر وسط مجموعة من النجوم. على الشاطئ قمران جالسان بين نجمين وفي وسطهم شمعة.

يجلس وائل أمام مريم وسارة بجوار وائل، في لحظة من التأمل والسكون، والعيون تتحدث بنظراتها الحيرى التي تعبر بما يفوق الكلمات أثرًا وتعبيرًا.

قامت سارة بكسر حاجز الصمت، تتحدث عن الطموح والمستقبل حيث ترغب في السفر خارج مصر.

رد عليها محمد بأن هذا البلد أفضل من غيره، وأنه يريد أن يصبح صاحب شركة سياحة. أما مريم فإنها تريد أن تصبح أمًا لطفلين من وائل، ووائل يرغب في تأسيس مصنع للملابس الجاهزة، ليقطع أحلامهم صراخ سارة فزعًا من قطة سوداء مرت بجانبها.

- هههههههه أنتي بتخافي من قطة وعاملة قلبك جامد.

- لا دي قلبها قلب عصفورة.

تبادل محمد ووائل المزاح على رد فعلها، لتضحك في خجل:

- هههههههه يا بايخ أنت وهو .. أنا مبخافش على فكرة.

- طيب حاسبي اللي وراكي.

ليتجدد صراخها ..

- عليكي واااااحد.

...

يوم آخر يمر عليهم دون عناء، ولا شيء يعكر مزاجهم.

انتهت الجلسة السعيدة، وغادروا المكان، وتركت البهجة علامة مسجلة في نفوسهم وفي كل مكان يذهبون إليه.

أصبح كل منهم بفراشه والهاتف بيده، يتحدثون قبل النوم، فلم يكتفوا بالوقت الذي مضى بينهم، حتى ناموا والهواتف تقع من أيديهم.

مرت المهلة المحددة لعقد الزواج حتى أتى اليوم المشهود الذي انتظروه بفارغ صبرهم بعد تعب تجهيز أنفسهم بكل شيء.

كان الاتفاق أن يكون الفرح في الداون تاون. ازدحمت القاعة بالمدعوين في انتظار العروسين حتى يكتمل الحفل. كان الباب مغلقًا عليهم حتى يدخل العروسين.

انطفأ نور القاعة وارتفع صوت الأغاني عاليًا، وأصبحت القاعة في ظلام تام، لا أحد يرى الآخر. وفجأة اضيأت القاعة ليتواجد العروسين على المسرح، يرقصون SLOW وكانت المفاجأة أنه كان حفل زفاف محمد وسارة أيضًا، بعد أن اتفق محمد وسارة أن يكون حفل زفافهم في نفس يوم زفاف مريم ووائل.

...

كان هذا نتيجة مكالمة سارة ومحمد يوم عادوا من جلسة البحر، اعترفوا بحبهم، لقد تآلفت قلوبهم في الثلاثة أيام الأخيرة قبل الزفاف، إنه الحب غير المتوقع، الذي يدوم للأبد .. كانوا أصدقاءً فقرروا أن تكتمل الصداقة بالحب ثم الزواج وحياة تجمعهم.

اندهش الحضور حيث لم يتوقع أحد زواج سارة بمحمد، إنه اليوم الذي تكتب فيه حياة جديدة لهم، هي الحياة الزوجية، حياة ذات مسئولية.

...

- الحمد لله شوفتك بالبدلة ... عروستك زي القمر ما شاء الله عليكم .. خلي بالك منها، هي كده خدت مكاني، هتهتم بيك أكتر مني.

- لا متقوليش كده، أنا عايزك جانبي.

- لا خلاص مبقاش ينفع، أنا كنت معاك عشان كنت لوحدك دلوقتي ليك عروسة تقدر ترعاك أفضل مني ... أنا مهمتي انتهت معاك النهارده، أنت هتوحشني أوي.

نزلت الدموع من عينه لأنه آخر يوم سيراها فيه، ولن تأتي مجددًا إليه، إنها ملك التي جسدها في عقله بعد وفاتها منذ أعوام، كان شديد التعلق بها، شخصيتها الوهمية التي ملأت عليه حياته حتى

لا يكون وحيداً في الدنيا، يحكي لها ما يدور داخله، تخفف عنه عبء الدنيا وكبت الأيام.

اختفت مثل السراب يوم فرحه واجتماعه مع مريم الحب الذي انتظره طول حياته، تلك الفاتنة التي غيرته إلى الأفضل، إنها النور الذي أتى لينير العتمة التي كست قلبه مع تقلب حال الدنيا عليه، أتت بعد ليلة غاب عنها القمر لتكون شمسًا مشرقة ليوم جديد في حياته.

- إيه مالك بتعيط ليه؟

- عشان فرحان يا حبيبتي إننا مع بعض.

احتضنته بشدة والدموع تنزل من عينه، كان يريد أن تكون أخته معه حية لتراه وترقص معه في يوم فرحه، لو كانت معه الآن لفرح ضعف فرحته، فالأخت لا تعوض أبدًا.

...

- شوفتي بقى يا سارة إنك بتحبيني وأنا مكنتش موافق على الجواز بس وافقت عشان خاطر مريم.

- هههههههه أنت كنت هتموت عليا .. أنت نسيتي ولا إيه.

- هههههههه لا ده كلام .. بحبك يا أحلى سارة في الدنيا.

قام محمد بتقبيل جبهتها ليعبر عن حبه وفرحته بهذا اليوم لأنها أصبحت شريكة حياته.

انتهى الرقص وقام الحضور بالتصفيق لهم، جلسوا ليرتاحوا قليلًا ليكملوا الحفل، وذهب الحضور إليهم لتهنئتهم.

قام وائل بمفاجأة أخرى لمريم وهو تسجيل مقطع صوتي وهو يقول الشعر، وكان بعنوان (بحبك مجنونتي).

بحبك وبقولها بصوت عالي

بحبك ياللي بكرا تكوني أم عيالي

أصل حبك ده حب غالي

بشوفك بقلبي قبل عيني

بحن ليكي من همس عينيكي

ولمس إيديكي

بتحبيني ودفيني

هقولها تاني ومن غير تفكير

بحبك مجنونتي

بحبك يا اللي أغلى حتى من عيني

وحبك خلاني مجنون

وقلبي بيه مسكون

وعقلي بيكي مشغول

وحبى ليكي ده مش معقول

بحبك ياللي قلبي بيكي مجنون

نالت كلماته إعجاب الجميع بعد انتهائها كانت غاية الروعة، قابلها الحضور بالتصفيق الحار وصوت الصفير، كانت أجمل هدية قدمها وائل لمريم، أسعدت كل من سمعها.

...

- بجد أنت مسخرة يا وائل .. كل شوية بتفاجئني بحاجة حلوة، كلامك كان جميل جدًا مش زي واحد صاحبنا.

عبرت سارة عن إعجابها بقصيدة وائل.

- لا يا سارة، أنا كمان بقول كلام حلو.

الحب الحب .. العشق العشق .. الشوق الشوق.

- هههههههههههه اسكت يا محمد أحسن.

ضحكوا من كلام محمد، وعلت الابتسامة وجههم والسخرية من كلام محمد، لمحاولته أن يبهر سارة مثل وائل.

- فعلًا أنا انبهرت منهم.

أتت غادة لتبارك لهم.

- كده يا واطي أعرف إنك هتتجوز من ورايا، بس جيت أباركلك عشان خاطر سارة بس.

- هي جت كده أصلًا ومحدش يعرف.

- مبروك يا عم.

باركت غادة لهم وقامت بالرقص معهم بعد أن ارتاحوا.

توجت الصداقة ثم الحب بالزواج، هذا هو أجمل ما يفعله القدر.

بعض الساعات من الرقص والفرح بهذا اليوم الرائع، أسعد أيام حياتهم، لحظة زواجهم .. تلك اللحظة الغالية بالنسبة لهم، لحظة محو الهموم السابقة من حياتهم، وبدء حياة جديدة كتبت بأحرف السعادة في كتاب حياتهم للأبد.

كانت الحياة مجرد أمنية أن يجتمعوا معًا دون فراق ... كانوا يشعرون في بداية الدراسة عند أول لقاء لهم صدفة، حيث اجتمعوا وظلوا معًا خطوة بخطوة حتى تتطورت العلاقة من صداقة بريئة إلى حب صادق، هذا الحب الذي قاوم الكثير من التعب، واستمر بالعزيمة والأمل حتى تحقق الحلم الذي تمنوه.

أصبح حقيقة، دائمًا الحلم لا يتحقق بمفرده، فيقابل تحقيقه تعب وسعي إليه، ومحاربة حتى يتحقق، فإن كانت الأماني بسيطة لابد أن نسعى إليها لأن الحلم إذا مات مات الإنسان معه.

...

التف الضيوف وهم يرقصون في دائرة حول مريم وسارة ووائل ومحمد في منافسة على أجمل رقصة.

احتل الشباب المركز الأول بالإضافة إلى الفتيات، وانقلب الفرح إلى خناقة بينهم ليستمتعوا بوقتهم، معهم يتغير كل شيء إلى الأفضل، يضيفون إليه نكهة الاستمتاع بشكل مختلف.

المرح لا يفارقهم بوجود الأصدقاء، بدلوا الرقص مع بعض، كانت السعادة تغمرهم، وأعينهم تشع فرحة، وقلوبهم تدق سعادة.

بعد الانتهاء من الفرح واليوم المرهق من الرقص، ذهبوا إلى بيوتهم حتى يعدوا للسفر في الغد إلى شرم الشيخ الذي يحلو جوها هناك.

❁❁

- يااه ده كان يوم طويل بشكل يا جماعة.

- طويل إيه يا محمد .. ده خلص بسرعة، ولا إيه يا سارة.

- عندك حق يا مريم.

- احنا هنسافر بكرا بليل، متتأخروش عشان الطريق طويل، عايزين نوصل هناك الصبح.

- متقلقش يا وائل، هنكون عندك بدري .. يلا بينا يا سارة.

اتجه كل واحد إلى منزله على لقاء يوم غد لقضاء شهر العسل معًا، وقد أعد كل منهم مفاجأة لعروسه عند وصولهم إلى المنزل.

دخل وائل ومريم غرفة النوم حتى ترى السرير الذي يجاوره الدولاب الكبير، والتسريحة أمام السرير الذي نظرت عليه لتجد وروداً مرسومة على شكل قلب كتب في منتصفه (بحبك يا مريم) وعليه سلسلة من الذهب.

...

عندما وصلت سارة ومحمد إلى المنزل أخرج المفتاح من جيبه وجعلها تفتح الباب، كان النور هادئًا لا يوضح شيئًا لها، أضاءت الأنوار حتى رأت مجموعة من البالونات المرتفعة في الهواء، وصورتها تنزل من أعلى عندما ضغط على زر الريموت الذي كان يحمله، ومعها أغنية أنا بعشقه، وعندما سمعت هذه الأغنية وقرأت ما كتب على الصورة (بعشقك مجنونتي) قبلته في شفتيه قبلة حارة زادت ضربات قلبه حتى كادت تسمع صوتها يخرج منه.

- بجد بحبك يا محمد أوي، ربنا يخليك ليا يا رب.

- بموت فيكي يا أم عيالي، إن شاء الله هتكوني أسعد واحدة في الدنيا.

- حبيبي يا ناس .. ربنا ميحرمنيش منك يا محمد.

...

قبلت مريم يد وائل بعدما رأت ما فعله لها لأجل إسعاد قلبها الرقيق الذي تحمل الكثير للوصول لهذا اليوم الذي تمنته من الله ليجمعها بزوج صالح يسعد قلبها.

يوم آخر ينتهي من الحياة ويمر مسرعًا دون تمهل للاستمتاع أكثر، وقد انغلق عليهم باب السعادة.

في اليوم التالي أتى محمد مصطحبًا معه سارة إلى منزل وائل، ومعهم حقيبتهم حتى يسافروا ليقوموا بقضاء شهر العسل ذلك

هو أجل الشهور التي سيقضونها معًا طيلة حياتهم التي ستمر عليهم دون التفكير في شيء.

بدأت رحلتهم التي كانت تجمعهم مع الطريق وجمال المنازل التي يعلوها الجبال على يمين الطريق، وشمالها البحر.

ظلت الرحلة طويلًا في الطريق وتبادل السواقة بين وائل ومحمد وتلك المسافة الطويلة التي يقضونها معًا من رحلتهم.

...

- أي خدمة مظبطكم أهو.. شرم وفندق خمس نجوم عشان تعرفوا غلاوتكم عندي.

- أنت هتذلنا ولا إيه، ما أنا كنت عملتلكم جو في إسكندرية بردو.

ضحكت مريم وسارة على مداعبة وائل لهم.

- طيب تعالوا ندخل جوه عشان احنا تعبنا في الطريق وعايزين نرتاح.

- قوليلهم يا مريم .. مش عارفه احنا اتجوزناهم ليه أصلًا.

- لا يا شيخة، تعالا ندخل يا محمد بدل ما يقلبوا علينا.

- يلا منك ليها كل واحدة تشيل شنطة.

بعد أن سمعوا كلام محمد دخلوا إلى الاستقبال ليجدوا شابًا يقف وأمامه كمبيوتر، كانت صالة الاستقبال مليئة بالناس بعضهم أجانب والآخر مصريين.

تكلم وائل مع ذلك الشاب ومعه محمد حتى يكملوا الإجراءات اللازمة لحجز الغرف.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام يافندم أي خدمة.

- كان فيه حجز باسم وائل ومحمد وحرمهم.

- آه يافندم موجود، حمد لله على السلامة.

كان هذا الشاب بشوش جدًا دائم الابتسامة معهم.

- اتفضل املا البيانات.

ملأ وائل ومحمد البيانات اللازمة لاستلام الغرف التي تم حجزها قبل الفرح، وأعطوا البيانات للشاب بعد الانتهاء منها.

- اتفضلوا ارتاحوا وخمس دقايق والغرف هتكون جاهزة.

جلسوا ليستريحوا مع مريم وسارة، وأثناء جلوسهم أتت فتاة تحمل مشروب الضيافة من عصير البرتقال الطازج اللذيذ. كانت ترتدي يونيفورم مكتوبًا على يمين صدرها اسمها، وكان لونه بنطلونها أسود، وقميصها بينك، وفي الجهة الأخرى شعار الفندق.

- اتفضلوا .. ده مشروب الضيافة على ما الغرف تجهز.

- شكرًا يا عبير.

شكرتها سارة ومريم بعد أن قرأوا اسمها.

أنزلت عبير المشروبات على الطاولة التي يلتفون حولها أمام كل واحد، بعد أن شربوا العصير دخل عليهم شاب آخر يدعى عادل أخبرهم أن الغرف أصبحت جاهزة، ويجب عليهم الذهاب إليها.

حملوا أمتعتهم وذهبوا إلى الغرفتين المجاورتين المطلتين على البحر.

أخذوا قسطًا من الراحة، وناموا من كثرة التعب الشديد، وطول المسافة، وعدم النوم قبل السفر جيدًا، غرقوا في نوم عميق للغاية حتى غربت الشمس عنهم ودخل الليل عليهم، واستيقظت مريم واتصلت بسارة ليستعدوا للنزول.

- إيه يا سارة كل ده نوم.

- أنا صحيت أهو.

- طيب البسوا عشان ننزل.

- حاضر يا مريم.

بعد أن تناولوا الغداء معًا قاموا ليتجولوا في المدينة الجميلة التي يحلو بحرها ليلًا، ومنظره الطبيعي.

بدأ الأصدقاء التجوال بعد أن تناولوا المشروبات الذي يقدمه الفندق، ثم استقروا على الشاطئ في الجسر الذي يقع وسط الماء، كان المكان يملأه الناس.

من هنا بدأت الحكاية، عندما رأيت تلك الفتاة صاحبة الشعر الأسود، التي شغلت تفكيري، وشغلتها أيضًا بنظرة كانت عابرة، وتحولت من مجرد نظرات إلى دماء تسير في جسدي حتى الآن. واجتمعنا معًا بعلاقة قوية جدًا، يربطها الحب.

هذا ما تمنيته عندما رأيتها لأول مرة على الشاطئ، جالسة تنظر لي، فبدا في أول الأمر أنها ملاك على الأرض.

أحببتها بشدة، وتعلقت بها، وأصبحت أسعد مخلوق على الأرض، لأن من أحببته أصبح جزءًا مني، حياتي التي كتبتها ثم عشتها وعشت معها أجمل لحظات حياتي.

لم أفقد الأمل حتى تكون معي الآن، أفعل المستحيل لأسعدها، كي أكون غير مقصر معها في شيء. لقد أصبحت ابنتي الصغيرة وحبيبتي وصديقتي، إنها كل شيء في حياتي.

وهنا أى موعد آخر مفاجأة، أتيت لها من منتصف البحر بيخت عليه فرقة موسيقية تعزف أجمل المقطوعات الموسيقية لنرقص عليها، والألعاب النارية ترسم صورتها في السماء.

بدا القمر الذي ينتصف وجهه، ظهرت عليها الفرحة الشديدة، قلبها أصغر من قلب طفل صغير ... إنها طفلتي الصغيرة، معشوقتي، عشقي لها لا يوصف بشيء .. لأول مرة لا أستطيع أن أعبر عن ما أشعر به من حب اتجاهها.

شهر العسل هذا الاسم ينطبق على حياتي مع مريم حتى فكرت أن أكتب كتاب بعنوان: "حياة بطعم العسل" ستكون قصة حياتي أنا ومريم، أكتبها لأولادي وأحفادي حتى يتعلموا معنى الحب، وكيف يحافظون على من يحبون.

أخيرًا انتهت بداية النهاية من حيث بدأت، كانت على سطور من ورق وتجسدت، وأصبحت حقيقة عشتها بكل تفاصيلها، مرت عليَّ كل لحظة في سعادة .. عشت معها أجمل أيام حياتي، وكأنها حقيقة حدثت معي بالفعل، تمنيت أن تكون حقيقة، لكن الواقع لا يرغب في ذلك فرغبت أنا وعشتها كما أريد ووصلت إلى نقطة البداية حتى انتهت من حيث بدأت في نفس المكان الذي التقينا فيه، انتهى كل شيء مع آخر نقطة في قلبي.

- على فكرة البنت دي مشالتش عينها من عليكي، دي متنحة من بدري.

ضحكت من كلام ملك صديقتي المقربة، بعد أن أتت لتفسد عليَّ خلوتي وجلستي أمام البحر، أخذت من يدها الوردة التي تحملها وقمت من مكاني لأعطيها لصاحبة الشعر الأسود، والبسمة مرسومة على وجهي لتبتسم، لأرى إشراقة الشمس في وجهها الملائكي، تبسمت عندما أعيطتها تلك الوردة لتعبر عن إعجابي بنظارتها الجميلة، قالت لي بصوتها الرقيق ميرسي، وسألتني:

- هو أنت كنت بتكب إيه؟

ضحكت بشدة عندما سألتي عما أكتب ....